دُرُوسُ البَلاغَةِ

تأليف

حفني ناصف (ت ١٣٣٨هـ) — محمد دياب (ت ١٣٣٩هـ)

سلطان محمد — مصطفى طموم (ت ١٣٥٤هـ)

عُنِيَ بِهِ

أحمد السنوسي أحمد

كلية اللغة العربية

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

دار ابن حزم

دروس البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس البلاغة

تأليف

حفني ناصف (ت ١٣٣٨هـ) — محمد دياب (ت ١٣٣٩هـ)

سلطان محمد — مصطفى طموم (ت ١٣٥٤هـ)

عُنِيَ بِهِ

أحمد السنوسي أحمد

كليّةُ اللغةِ العربيّة

الجامعةُ الإسلاميّةُ بالمدينةِ النبويّة

دار ابن حزم

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

9786144162798

ISBN 978-614-416-279-8

دار ابن حزم

بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل على عبده الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أما بعد: فإن علم العربية علم شريف القدر، عظيم المنزلة بين علوم الشرع؛ ذلك أنه الأس الذي ينبني عليه فهم بقية العلوم، وهو الوسيلة لفهم معاني كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

ومن علوم العربية التي لا بد أن يأخذ طالب العلم منها حظَّه، وينال منها نصيبه، وتكون له فيها قدم راسخة، علمُ البلاغة الذي هو روح علم النحو وسِرُّ ما فيه من الظواهر النحوية، وبفهمه يدرك المرء ما في القرآن الكريم من الأسرار البلاغية.

ولأهمية هذا العلم وتعلقه بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ عُنِيَ به العلماء قديماً وحديثاً، فألفوا فيه مؤلفات

كثيرة ما بين منظوم ومنثور، ومطول ومختصر، حسب ما تدعو إليه الحاجة، وتقتضيه الساحة العلمية في كل عصر ومِصْرٍ، مراعين في ذلك أحوال مَن حولهم من طلبة العلم والتلامذة.

ومن الكتب المختصرة التي صُنفت في هذا العلم كتاب (**دروس البلاغة**) الذي ألفه أربعة من علماء مصر في القرن الماضي، وهم: حفني ناصف[(١)]، ومحمد دياب[(٢)]، وسلطان محمد[(٣)]، ومصطفى طموم[(٤)]، رحمهم الله أجمعين،

(١) حفني أو محمد حفني بن إسماعيل ابن خليل بن ناصف: قاض أديب، له شعر جيد، ولد بمصر سنة: (١٢٧٢هـ ١٨٥٦م)، وتعلم في الأزهر، وتقلب في مناصب التعليم، ثم في مناصب القضاء، وعين أخيراً مفتشاً أولَ للغة العربية بوزارة المعارف المصرية، كما شارك في إنشاء المجمع اللغوي الأول، له تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية، واشترك في تأليف كتاب (الدروس النحوية)، توفي بالقاهرة سنة: (١٣٣٨هـ ١٩١٩م)، ينظر: الأعلام للزركلي: (٢/ ٢٦٥)، ومعجم المؤلفين: (١/ ٦٤٩).

(٢) محمد دياب بك ابن إسماعيل بن درويش الشافعيّ المنوفي باحث، من رجال العلم والتعليم بمصر، ولد في منوف سنة: (١٢٦٩هـ ١٨٥٢م)، وتعلم في الأزهر ودار العلوم. واختير معلماً فمفتشاً في ديوان المعارف، وكف بصره في آخر عمره، وتوفي بالقاهرة، له تآليف، منها: تاريخ آداب اللغة العربية، ومعجم الألفاظ الحديثة، والإنشاء النظري، توفي سنة: (١٣٣٩هـ ١٩٢١م)، ينظر: الأعلام: (٦/ ١٢٢.١٢٣)، ومعجم المؤلفين: (٣/ ٢٨٨).

(٣) لم أقف على ترجمته.

(٤) مصطفى طمُّوم المالكي: فاضل مصري، كان مدرس العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة، له من المؤلفات: سراج الكتبة شرح تحفة الأحبة في علم رسم الحروف، وهو أحد مؤلفي: الدروس النحوية للمدارس الابتدائية، توفي سنة: (١٣٥٤هـ ١٩٣٥م) ينظر: الأعلام: (٧/ ٢٣٦)، ومعجم المؤلفين: (٣/ ٨٦٩).

وأجزل لهم الأجر والثواب على ما قاموا به من تأليف هذا الكتاب، المفيد لطلاب علم العربية.

وهو من الْكُتُب الْمَدْرَسِيّة التي يحتاج إليها طلاب العلم في هذا الزمان؛ حيث حوى علوم البلاغة الثلاثة، وعني فيه مؤلفوه بالإيجاز في التعبير عن المقصود، مع العناية بتعريف المصطلحات البلاغية، واستيعاب التقسيم للمسائل مع ذكر الأمثلة التي تتضح بها القواعد البلاغية، والإكثار من الاستشهاد بالآيات القرآنية، والشواهد الشعرية، مما يجعله كتاباً تطبيقياً يمرن الطالب على التذوق البلاغي، بعيداً عن التقعيد المنطقي المجرد، وذكر ما لا تمس إليه الحاجة.

وقد أثنى عليه مؤلفوه ثناء عطراً يدل على أهميته، كما هو مذكور في مقدمة الكتاب للمؤلفين.

كما أثنى عليه وعلى مؤلِّفيه الشارح أبو الأفضال محمد فضل الرامفوري أحد علماء الهند، الذي شرح هذا الكتاب شرحاً سماه (شموس البراعة) فقد قال في مقدمة شرحه: **«لما رأيت كتاب دروس البلاغة الذي ألّفه جماعة من الذين لهم اليد الطولى في العلوم جلها، ولا سيما العلوم العربية، والفنون الأدبية؛ لتعليم طلبة العلم في الجامع الأزهر الواقع**

بمصر، نظرت بعين التأمل فيه، فوجدته حاوياً مع اختصاره لما حواه مطولات فن البلاغة، من الأصول والقواعد، وخالياً مع كثرة مسائله من المناقشات والزوائد، وواقعاً على ترتيب حسن لم يعهد في كتب المتأخرين، كما يعرفه من طال نظره في كتب المتقدمين، ولذا اشتهر اشتهار الشمس في نصف النهار، وطارت به القَبُولُ والدَّبُور إلى الأقطار، وجعله أولو العلم والبصيرة، من الكتب التي تقرر دراستها في أكثر مدارس الهند من علم البلاغة»[1].

ومما يجدر التنبيه إليه أن الكتاب قد خالف فيه مؤلِّفوه ما درج عليه علماء البلاغة المتأخرون، في حصر أبواب علم المعاني وترتيبها واعتبار وجه تقسيمها تبعاً للخطيب القزويني - رحمه الله - في التلخيص. حيث إن المعهود لدى المتأخرين الذين ساروا على نسق الخطيب في تواليفهم البلاغية اعتبار أجزاء الكلام المطابق، فيقسمون أبواب علم المعاني باعتبار أجزاء الجملة من المسند إليه والمسند ومتعلقات المسند إن كان فعلاً أو ما في معناه، ففي باب المسند إليه مثلاً يستوفون الحديث عما يعرض للمسند إليه من أحوال وصفات تتعاقب عليه

(١) شموس البراعة ص: (ب).

باختلاف الدواعي البلاغية، كالتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، وغير ذلك من الأحوال التي يقتضيها المقام، ثم يتحدثون عن المسند كذلك، ثم متعلقات الفعل وما يعرض لها من تقديم وتأخير وذكر وحذف.

أما هذا المتن فقد جاء تقسيم الأبواب فيه مبنياً على النظر إلى المقتضَيات ذاتها التي هي الأحوال العارضة دون معروضاتها التي هي أجزاء الجملة، فباب الذكر والحذف مثلاً، فيه الحديث عن دواعي الذكر والحذف ومقتضياتهما على وجه العموم بقطع النظر عن المحذوف هل هو: المسند أو المسند إليه أو أحد متعلقات الفعل، وهكذا باب التعريف والتنكير، وباب التقديم والتأخير، وباب الإطلاق والتقييد، فيتحدث المصنفون في هذه الأبواب عن دواعيها البلاغية دون تعيين ما تعرض له من الألفاظ.

فينبغي لمن يشرح هذا المتن لطلاب العلم أن ينبههم لهذا الأمر حتى لا يلتبس الأمر على المبتدئين في هذا الفن.

ولَمّا كان هذا المتن بهذه المنزلة العالية، ولم أقف له على نسخة كاملة بأيدي طلبة العلم؛ عزمت على إخراجه ليفيد منه طلاب العلم.

النسخ المعتمدة في الإخراج:

اعتمدت في إخراج الكتاب على مطبوعتين كاملتين.

الأولى: طبعة بولاق بمصر سنة (١٣١٧هـ - ١٨٩٩م). ورمزت لها بالحرف (ب).

الثانية: طبعت في باكستان بأعلى الشرح الذي وضعه الشيخ محمد فضل الرامفوري. ورمزت لها بالحرف (أ).

وهاتان المطبوعتان جيدتان، متطابقتان إلا في مواضع يسيرة، نبهت على التخالف بينهما في الحاشية.

وهناك مطبوعة أخرى للكتاب طبعت بمكتبة الآداب بمصر، وهذه النسخة فيها من النقص ما يجعل الناظر يحكم عليها بأنها ليست هي الكتاب الأصل، وإنما هي أشبه باختصار للكتاب الأصل؛ إذ فيها من الحذف شيء كثير يظهر للناظر فيها بأدنى تأمل، فقد حُذِفَ منها مباحث ومسائل بأكملها، منها الخاتمة في الخروج عن مقتضى الظاهر، ومنها كثير من المحسنات البديعية، إلى آخر ما لا أستطيع ذكره في هذه العجالة، ولذلك ضربت عنها صفحاً.

عملي في إخراج الكتاب:

أ - اعتمدت في إخراج الكتاب على الطبعة: المصرية البولاقية، والطبعة الباكستانية.

ب - سلكت منهج النص المختار وإخراج النص باختيار الصواب من الطبعتين أو الأصوب منهما، وأشرتُ في الحاشية إلى الاختلاف الواقع بين الطبعتين.

ج - ضبطتُ المشكل من الكلمات والأبيات الشعرية حسب الإمكان، كما وثقت الآيات القرآنية.

د - هناك تعليقات للمؤلِّفِين في هوامش المطبوعتين، وضعتها في مواضعها مميزاً لها عما سواها بقولي في آخر كل تعليق (المؤلفون).

وها أنا أقدمه لطلاب العلم بهذه الحلة راجياً من الله سبحانه وتعالى أن ينفع به طلاب العلم وأن يجعل ذلك ذخراً لي يوم ألقاه إنه سميع مجيب.

أحمد السنوسي أحمد

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية / كلية اللغة العربية

ahsanoosi@gmail.com

[مقدمة المؤلِّفِين]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قصُرَت عبارة البلغاء عن الإحاطة بمعاني آياته، وعَجَزَت أَلْسُن الفُصَحاء عن بيان بدائع مصنوعاته. والصلاة والسلام على من ملك طرفي البلاغة إطْنَاباً وإيجازاً، وعلى آله وأصحابه الفاتحين بهديهم إلى الحقيقة مجازاً.

وبعدُ: فهذا كتاب في فنون البلاغة الثلاثة، سهل المنال، قريب المأخذ، بريء من وصمة التطويل الْمُمِل، وعيب الاختصار الْمُخِل، سلكنا في تأليفه أسهل التراتيب، وأوضح الأساليب، وجمعنا فيه خلاصةَ قواعد البلاغة، وأمهاتِ مسائلها، وتركنا ما لا تمس إليه حاجة التلامذة من الفوائد الزوائد، وقوفاً عند حد اللازم، وحرصاً على أوقاتهم أن تضيع في حلِّ مُعَقَّدٍ، أو تلخيصِ مُطوَّلٍ، أو تكميلِ مختصرٍ، فتم به مع كتب الدروس النحوية سُلَّم الدراسة العربية في المدارس الابتدائية، والتجهيزية.

والفضل في ذلك كله للأميرَيْن الكبيرين نُبْلاً، والإنسانين الكاملين فضلاً، ناظرِ المعارف، المتجافي عن مهاد الراحة، في خدمة البلاد الواقف في منفعتها على قدم الاستعداد، (صاحب العطوفة محمد زكي باشا)، ووكيلها ذي الأيادي البيضاء في تقدم المعارف نحو الصراط المستقيم، وإدارة شؤونها على المحور القويم (صاحب السعادة يعقوب أرتين باشا)، فهما اللذان أشارا علينا بوضع هذا النظام المفيد، وسلوك سبيل هذا الوضع الجديد، تحقيقاً لرغائب أمير البلاد، ووليِّ أمرها الناشئ في مهد المعارف، العارف بقدرها، مجدد شهرة الديار المصرية، ومعيد شبيبة الدولة المحمدية العلوية، (مولانا الأفخم عباس حلمي باشا الثاني)، أدام الله سعود أمته، وأقر به عيون آله ورجاله، وسائر رعيته آمين.

حفني ناصف ❖ محمد دياب ❖ سلطان محمد ❖ مصطفى طموم

علوم البلاغة

مقدمة
في الفصاحة والبلاغة

الفصاحة في اللغة [تُنبئ عن] (١) البيان والظهور، يقال: أفصح الصبيُّ في منطقه إذا بان وظهر كلامه.

وتقع في الاصطلاح وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم.

١ـ **ففصاحة الكلمة**: سلامتها من تنافر الحروف، ومخالفةِ القياسِ، والغرابةِ .

فتنافرُ الحروفِ: وصفٌ في الكلمةِ يُوجِبُ ثِقَلَهَا على اللسانِ وعُسْرَ النُّطْقِ بها، نحوُ الظِّشِّ للموضع الخَشِنِ، والهُعْخُعِ، لنباتٍ ترعاه الإبلُ، والنُّقَاخِ للماء العذب الصافي، والْمُسْتَشْزِرِ للمفتول.

ومخالفة القياس: كونُ الكلمةِ غيرَ جاريةٍ على القانون الصرفي، كجمع بُوقٍ على بُوقَاتٍ في قول المتنبي.

---

(١) ساقطة من (ب).

فإنْ يكُ بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ
ففي الناسِ بُوقَاتٌ لها وطُبُولُ

إذ القياس في جمعه [للقلة][1]: أبواق.

وكمَوْدَدَةٍ في قوله:

إنَّ بَنِيَّ لَلِئَامٌ زَهَدَهْ
مَا لِيَ في صدورهم مِنْ مَوْدَدَهْ

والقياس مَوَدَّة بالإدغام.

والغرابة: كونُ الكلمة غيرَ ظاهرة المعنى، نحو: تَكَأْكَأَ، بمعنى: اجتمع، وافْرَنْقَعَ بمعنى: انصرف، واطْلَخَمَّ بمعنى: اشتد.

٢ ـ **وفصاحة الكلام**: سلامته من تنافر الكلمات مجتمعة، ومن ضعف التأليف، ومن التعقيد، مع فصاحة كلماته.

فالتنافر: وصف في الكلام يوجب ثِقلَه على اللسان، وعُسْرَ النطق به، نحو:

في رَفْعِ عَرشِ الشرعِ مثلُك يَشْرَعُ
....

(١) ساقطة من (ب).

. . . .

وَلَيسَ قُرْبَ قبرِ حربٍ قبرُ

كريمٌ متى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والورى
مَعي وَإِذَا ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي.

وضعفُ التأليف: كون الكلام غيرَ جارٍ على القانون النحوي المشهور[1]، كالإضمار قبل الذكر لفظاً ورتبةً، في قوله:

جزى بَنُوهُ أبا الغَيْلانِ عن كِبَرٍ
وحُسنِ فِعلٍ كما يُجْزَى سِنِمَّارُ

والتعقيد: أن يكون الكلام خفيَّ الدلالة على المعنى المراد.

والخفاء إما من جهة اللفظ بسبب تقديم أو تأخير، أو فصلٍ، ويسمى تعقيداً لفظياً، كقول المتنبي:

جَفَخَتْ وهم لا يَخْفَخُونَ بها بهم
شِيَمٌ على الحسبِ الأَغَرِّ دلائلُ

(١) فضعف التأليف ينشأ من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولي النظر، فإن خالف تأليف الكلام القانون المجمع عليه كجر الفاعل، ورفع المفعول، وتقديم المسند المحصور فيه بإنما ففاسد غير معتبر، والكلام في تركيب له صحة واعتبار. (المؤلفون).

فإن تقديره: جَفَخَتْ بهم شِيَمٌ دلائلُ على الحسب الأغَرِّ وهم لا يجفَخُون بها.

وإما من جهة المعنى بسبب استعمال مجازات وكنايات لا يفهم المراد بها، ويسمى تعقيداً معنوياً، نحو قولك: نشر الملك ألسنته في المدينة، مريداً جواسيسه، والصواب: نشر عيونه، وقوله:

سأطلبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكم لِتَقْرُبُوا
وَتَسكُبُ عينَاي الدموعَ لتَجْمُدَا

حيث كَنَى بالجمود عن السرور مع أن الجمود يُكنَى به عن البخل وقت البكاء.

٣ ـ **وفصاحة المتكلم**: مَلَكَة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح، في أي غرضٍ كان.

والبلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء، يقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها.

وتقع في الاصطلاح وصفاً للكلام والمتكلم.

فبلاغة الكلام: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته.

والحال ـ ويسمى بالمقام ـ هو: الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة .

والمقتضى - ويسمَّى الاعتبارَ المناسِبَ - هو: الصورة المخصوصة، التي تورد عليها العبارة .

مثلاً المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكل من المدح والذكاء حال، وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى، وإيراد الكلام على صورة الإطناب، والإيجاز مطابقة للمقتضى .

وبلاغة المتكلم: ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بكلام بليغ في أي غرض كان .

- ويعرف التنافر بالذوق.
- ومخالفة القياس بالصرف.
- وضعف التأليف والتعقيد اللفظي بالنحو.
- والغرابة بكثرة الاطلاع على كلام العرب.
- والتعقيد المعنوي بالبيان.
- والأحوال ومقتضياتها بالمعاني.

فوجب على طالب البلاغة معرفة اللغة، والصرف، والنحو، والمعاني، والبيان مع كونه سليم الذوق، كثير الاطلاع على كلام العرب.

علم المعاني

علم المعاني: هو: [علم يُعْرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.

فتختلف صور الكلام لاختلاف الأحوال] [1].

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فإن ما قبل (أم) صورة من الكلام تخالف صورة ما بعدها؛ لأن الأولى فيها فعل الإرادة مبني للمجهول، والثانية فيها فعل الإرادة مبني للمعلوم، والحال الداعي لذلك نسبة الخير إليه سبحانه في الثانية، ومنع نسبة الشر إليه في الأولى.

وينحصر الكلام على هذا العلم في ثمانية أبواب، وخاتمة.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب)، وكتب بدلاً منه: (هو علم يبين اختلاف صور الكلام لاختلاف الأحوال).

الباب الأول

في الخبر والإنشاء

كل كلام فهو إما خبر، أو إنشاء.

والخبر: ما يصح أن يقال لقائله: إنه صادق فيه أو كاذب، كسافر محمدٌ، وعليٌ مقيم.

والإنشاء: ما لا يصح أن يقال لقائله ذلك، كسَافِرْ يا محمدُ، وأَقِمْ يَا عَليُّ.

والمراد بصدق الخبر: مطابقته للواقع، وبكذبه: عدم مطابقته له.

فجملة عليٌ مقيمٌ، إن كانت النسبة المفهومة منها مطابقةً لما في الخارج، فصدقٌ، وإلا فكذبٌ.

ولكل جملة ركنان: محكوم عليه، ومحكوم به، ويسمى الأول مسنداً إليه، كالفاعل، ونائبه، والمبتدأ الذي له خبر، ويسمى الثاني مسنداً، كالفعل، والمبتدأ المكتفي بمرفوعه.

الكلام على الخبر:

الخبر إما أن يكون جملة فعلية أو اسمية.

فالأولى موضوعة لإفادة الحدوث في زمن مخصوص، مع الاختصار، وقد تفيد الاستمرار التجدديَّ بالقرائن إذا كان الفعل مضارعاً كقول طريف:

أَوَ كُلَّما ورَدَتْ عُكَاظَ قبيلةٌ
بعثوا إليَّ عريفَهُم يَتَوَسَّمُ

والثانية موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه، نحو: الشمس مضيئة، وقد تفيد الاستمرارَ بالقرائنِ إذا لم يكن في خبرها فعلٌ، نحو: العلم نافعٌ.

والأصل في الخبر أن يُلقَى لإفادة المخاطبِ الحكمَ الذي تضمنته[1] الجملة كما في قولنا: حضر الأمير، أو لإفادة أن المتكلم عالم به، نحو: أنت حضرت أمس.

ويسمى الحكمُ فائدةَ الخبر، وكونُ المتكلم عالماً به لازمَ الفائدة.

وقد يُلقَى الخبرُ لأغراضٍ أخرى:

(١) في (أ) تضمنه.

١ ـ كالاسترحامِ في قول موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القَصَص: ٢٤].

٢ ـ وإظهارِ الضعف، في قول زكريا ـ عليه السلام ـ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مَريَم: ٤].

٣ ـ وإظهارِ التحسر في قول امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عِمرَان: ٣٦].

٤ ـ وإظهارِ الفرح بمقبل والشماتةِ بمدبر في قولك: (جاء الحق وزهق الباطل).

٥ ـ وإظهارِ السرور في قولك: (أخذت جائزة التقدم) لمن يعلم ذلك.

٦ ـ والتوبيخِ في قولك للعاثر: (الشمس طالعة).

أضرُبُ الخبر:

حيث كان قصدُ المخبر بخبره إفادةَ المخاطب ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر الحاجة حذراً من اللغْوِ.

فإن كان المخاطب خالِيَ الذهن من الحكم أُلْقِيَ إليه الخبرُ مجرداً عن التأكيد، نحو: أخوك قادم.

وإن كان متردداً فيه طالباً لمعرفته حَسُنَ توكيدُه، نحو إن أخاك قادمٌ.

وإن كان منكراً [له][1] وجب توكيدُه بمؤكِّد، أو مؤكِّدَينِ، أو أكثرَ حسب درجة الإنكار، نحو: (إن أخاك قادمٌ)، أو (إنه لقادمٌ)، أو (والله إنه لقادمٌ).

فالخبر بالنسبة لخلوِّه من التوكيدِ، واشتماله عليه ثلاثةُ أضربٍ، كما رأيتَ، ويُسمَّى الضربُ الأولُ ابتدائياً، والثاني طلبياً، والثالثُ إنكارياً.

ويكون التوكيد بإنَّ وأَنَّ ولامِ الابتداءِ، وأحرفِ التنبيه، والقسمِ، ونوني التوكيد، والحروفِ الزائدة، والتكريرِ، وقدْ، وأمَّا الشرطية.

الكلام على الإنشاء:

الإنشاء إمَّا طَلبيٌّ، أَوْ غيرُ طلبيٍّ .

فالطلبيُّ ما يستدعي مطلوباً غيرَ حاصل وقتَ الطلب.

وغيرُ الطلبيِّ ما ليس كذلك.

والأول يكون بخمسة أشياءَ، الأمرِ، والنهيِ، والاستفهامِ، والتمني، والنداءِ.

(١) ساقطة من (أ).

أما الأمرُ فهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء.

وله أربعُ صيغٍ: فعلُ الأمر، نحو: ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مَريَم: ١٢]، والمضارع المقرون باللام، نحو: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾ [الطّلَاق: ٧]، واسم فعل الأمر نحو: حي على الفلاح، والمصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: سعياً في الخير.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معان أخر تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال،

١ ـ كالدعاء، نحو: ﴿أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ [النَّمل: ١٩] .

٢ ـ والالتماسِ، كقولك لمن يساويك: أعطني الكتاب.

٣ ـ والتمني، نحو:

أَلَا أيُّهَا الليلُ الطويلُ أَلَا انجلي
بُصُبْحٍ وما الإِصْبَاحُ منكَ بِأَمْثَلِ

٤ ـ والإرشادِ، نحو: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢].

٥ ـ والتهديدِ، نحو: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فُصّلَت: ٤٠].

٦ ـ **والتعجيزِ**، نحو:

يَـالَـبَـكْـرٍ أَنْـشِـرُوا لـي كُـلَـيْـبـاً
يَـالَـبَـكْـرٍ أيـنَ أيـنَ الـفِـرَارُ

٧ ـ **والإهانةِ**، نحو: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠]

٨ ـ **والإباحةِ**، نحو: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الطُّور: ١٩].

٩ ـ **والامتنانِ**، نحو: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعَام: ١٤٢] .

١٠ـ **والتخييرِ**، نحو: خذ هذا أو ذاك.

١١ـ **والتسويةِ**، نحو: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطُّور: ١٦]

١٢ـ **والإكرامِ**، نحو: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحِجر: ٤٦](١).

وأما **النهي** فهو: طلب الكفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء.

وله صيغة واحدة، وهي المضارع معَ لا الناهيةِ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعرَاف: ٥٦].

وقد تخرج صيغته عن معناها الأصلي إلى معان أُخَرَ تُفهَم من المقام والسياق:

١ ـ **كالدعاءِ**، نحو: لا تشمت بي الأعداء.

---

(١) في (أ): كتبت الآية هكذا: (وادخلوها بسلام آمنين)، وهي ليست بالواو.

٢ ـ والالتماسِ، كقولك لمن يساويك: لا تبرحْ من مكانك حتى أرجع إليك.

٣ ـ والتمني، نحو: (لا تطلعْ) في قوله:

يـا لـيـلُ طُـلْ يـا نـومُ زُلْ
يـا صُـبـحُ قِـفْ لا تَـطْـلُـعِ

٤ ـ [والإرشاد: نحو: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المَائدة: ١٠١]](١).

٥ ـ والتهديدِ، كقولك لخادمك: لا تطع أمري.

٦ ـ [والتيئيس نحو: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ [التّحريم: ٧].

٧ ـ وبيان العاقبة، نحو: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩]](٢).

وأما **الاستفهام** فهو طلب العلم بشيء.

وأدواته: الهمزة، وهل، وما، ومن، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأيٌّ.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

١ - **فالهمزة لطلب التصور أو التصديق.**

والتصورُ هو إدراك المفرد، كقولك: أعليٌّ مسافرٌ أم خالدٌ؟، تعتقد أن السفر حصل من أحدهما، ولكن تطلب تعيينه، ولذا يجاب بالتعيين، فيقال: عليٌّ مثلاً.

والتصديق هو إدراك النسبة، نحو: أسافَرَ عَلِيٌّ؟، تستفهم عن حصول السفر وعدمه، ولذا يجاب بنعم، أو لا.

والمسؤول عنه في التصور ما يلي الهمزةَ، ويكون له معادل يذكر بعد (أم) وتسمى متصلةً، فتقول: في الاستفهام عن المسند إليه: أأنت فعلت هذا أم يوسفُ؟، وعن المسند: أراغب أنت عن الأمر أم راغب فيه؟.

وعن المفعول: أإيايَ تقصِد أم خالداً؟.

وعن الحال: أراكباً جئت أم ماشياً؟.

وعن الظرف: أيوم الخميس قدمت أم يوم الجمعة؟.

وهكذا، وقد لا يذكر المعادل، نحو: أأنت فعلت هذا؟، أراغب أنت عن الأمر؟، أإياي تقصد؟، أراكباً جئت؟، أيوم الخميس قدمت؟.

والمسؤول عنه في التصديق النسبة، ولا يكون لها معادل، فإن جاءت أم بعدها قُدِّرَت منقطعةً، وتكون بمعنى بل.

٢ ـ وهل لطلب التصديق فقط، نحو: هل جاء صديقك؟، والجواب: نعم أو لا، ولذا يمتنع معها ذكرُ الْمُعادِل، فلا يقال: هل جاء صديقك أم عدوك.

وهل تُسمَّى بسيطةً، إن استُفْهِمَ بها عن وجود شيء في نفسه، نحو: هل العنقاء موجودة؟، ومركبةً إن استُفْهِمَ بها عن وجود شيء لشيء، نحو: هل تبيض العنقاء وتفرخ؟.

٣ ـ وما يُطلَب بها شرحُ الاسم، نحو: ما العسجد أو اللجين؟، أو حقيقةِ المسمى، نحو: ما الإنسان؟، أو حالِ المذكور معها، كقولك لقادم عليك: ما أنت؟.

٤ ـ ومن يطلب بها تعيينُ العقلاء، كقولك: من فتح مصر؟.

٥ ـ ومتى يطلب بها تعيينُ الزمان، ماضياً كان أو مستقبلاً، نحو: متى جئتَ؟، ومتى تذهب؟.

٦ ـ وأيان يطلب بها تعيينُ الزمان المستقبل خاصةً، وتكون في موضع التهويل كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القِيَامَة: ٦]

٧ ـ وكيف يطلب بها تعيينُ الحال، نحو: كيف أنت؟.

٨ ـ وأين يطلب بها تعيينُ المكان، نحو: أين تذهب؟.

٩ ـ وأنى تكون بمعنى كيف، نحو: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٥٩]

وبمعنى من أين، نحو: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عِمرَان: ٣٧].

وبمعنى متى، نحو: زر أنى شئت؟.

١٠ـ وكم يطلب بها تعيينُ عدد مبهم نحو: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

١١ـ وأيٌّ يطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمرٍ يعمهما، نحو: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مَريَم: ٧٣]، ويسأل بها عن الزمان والمكان، والحال، والعدد، والعاقل، وغيره، حسب ما تضاف إليه.

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي لمعان أُخَرَ[1] تفهم من سياق الكلام:

١ ـ كالتسويةِ، نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٦].

(١) في (ب) أخرى.

٢ ـ والنفيِ، نحو: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠].

٣ ـ والإنكارِ، نحو: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦].

٤ ـ والأمرِ، نحو ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المَائدة: ٩١]، ونحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٢٠] بمعنى[1]: انتهوا، وأسلموا.

٥ ـ والنهيِ، نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التّوبَة: ١٣].

٦ ـ والتشويقِ، نحو: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصَّف: ١٠].

٧ ـ والتعظيمِ، نحو: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

٨ ـ والتحقيرِ، نحو: أهذا الذي مدحته كثيراً.

٩ ـ والتهكمِ، نحو: أعقلك يسوِّغ لك أن تفعل كذا.

١٠ـ والتعجبِ، نحو: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفُرقان: ٧].

١١ـ والتنبيهِ على الضلال، نحو: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التّكوير: ٢٦].

١٢ـ والوعيدِ، نحو: أتفعل كذا[2] وقد أحسنت إليك.

(١) في (ب) أي: بدل: بمعنى

(٢) في (ب) أتفعل ذلك.

وأما **التمني** فهو طلب شيء محبوب، لا يرجى حصوله؛ لكونه مستحيلاً، أو بعيدَ الوقوع، كقوله:

أَلَا لَيتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يوماً
فَأُخْبِرَه بما فعلَ المشيبُ

وقولِ المعسر: ليتَ لي ألفَ دينارٍ.

وإذا كان الأمرُ متوقَّعَ الحصول فإن تَرَقُّبَه يسمى ترجِّياً، ويعبر عنه بعسى أو لعلَّ، نحو: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطَّلَاق: ١].

وللتمني أربعُ أدوات، واحدةٌ أصليةٌ، وهي ليتَ، وثلاثةٌ غيرُ أصليةٍ، وهي: هلْ، نحو: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ [الأعراف: ٥٣]، ولوْ، نحو: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠٢]، ولعلّ، نحو قوله:

أَسِرْبَ القطَا هَلْ مَنْ يُعيرُ جَناحَهُ
لعلِّي إِلَى مَنْ قدْ هَوِيتُ أَطيرُ

ولاستعمال هذه الأدوات في التمني يُنصب المضارع الواقعُ في جوابها.

وأما **النداء** فهو: طلب الإقبال بحرفٍ نائبٍ منابَ أدعو.

وأدواته ثمانية: يا، والهمزةُ، وأَيْ، وآ، وآيْ، وأيَا، وهَيَا، وَوَا.

فالهمزة وأَيْ للقريب، وغيرهما للبعيد.

وقد ينزل البعيد منزلة القريب، فينادى بالهمزة، وأَيْ إشارةً إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلم صار كالحاضر معه، كقول الشاعر:

أَسُكَّانَ نَعْمَانِ الأَرَاكِ تَيقَّنُوا
بِأَنَّكُمُ فِي رَبْعِ قَلْبِيَ سُكَّانُ

وقد ينزل القريب منزلة البعيد، فينادَى بأحد الحروف الموضوعة له إشارةً إلى أن المنادى عظيمُ الشأن رفيعُ المرتبة، حتى كأنَّ بُعْدَ درجته في العِظَمِ عنْ درجة المتكلم بُعْدٌ في المسافة، كقولك: أيا مولاي، وأنت معه.

أو إشارةً إلى انحطاط درجته كقولك: أيا هذا لمن هو معك.

أو إشارةً إلى أن السامع غافلٌ لنحو نوم، أو ذهول، كأنه غير حاضر في المجلس، كقولك للساهي: أيا فلانُ.

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي لمعانٍ أُخَرَ تُفْهَم من القرائن:

١ ـ كالإغراءِ، نحو قولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلومُ.

٢ ـ والزجرِ، نحو:

أَفُـؤَادِي مَـتَـى الْـمَـتَـابُ أَلَـمَّـا
تَـصْـحُ وَالـشَّـيْـبُ فَـوْقَ رَأْسِـي أَلَـمَّـا

٣ ـ والتحيرِ والتضجرِ، نحو:

أَيَـا مـنـازلَ سـلْـمَـى أيـنَ سـلـمـاكِ
....

ويكثُرُ هذا في نداء الأطلال والمطايا، ونحوها.

٤ ـ والتحسرِ والتوجعِ، كقوله:

أَيَـا قـبـرَ مَـعْـنٍ كـيـف واريـتَ جُـودَهُ
وقـدْ كـانَ مـنـهُ الـبَـرُّ والـبَـحْـرُ مُـتْـرَعَـا

٥ ـ والتذكّرِ، نحو:

أَيَـا مَـنـزلَـيْ سَـلْـمَـى سَـلامٌ عـلـيـكُـمَـا
هَـلِ الأَزْمُـنُ الـلَّاتِـي مَـضَـيْـنَ رَوَاجِـعُ

وغيرُ الطلبيِّ يكون بالتعجب، والقسم، وصِيَغِ العقود، كبعت واشتريت، ويكون بغير ذلك.

وأنواع الإنشاء غير الطلبي ليست من مباحث علم المعاني، فلذا ضَرَبْنا صَفْحاً عنها.

الباب الثاني

في الذكر والحذف

إذا أريد إفادةُ السامع حكماً فأَيُّ لفظ يدل على معنى فيه فالأصلُ ذِكرُه، وأَيُّ لفظ علم من الكلام؛ لدلالة باقيه عليه فالأصل حذفه.

وإذا تعارض هذان الأصلان فلا يُعْدَل عن مقتضى أحدهما إلى مقتضى الآخر إلا لداعٍ.

فمن دواعي الذكر:

١ ـ زيادةُ التقرير والإيضاح، نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [لقمان: ٥].

٢ ـ **وقلةُ الثقة بالقرينة؛** لضعفها، أو ضعف فهم السامع، نحو: زيد نعم الصديق، تقول ذلك إذا سبق لك ذكر زيد، وطال عهد السامع به، أو ذُكِر معه كلام في شأن غيره.

٣ ـ **والتعريضُ بغباوة السامع،** نحو: عمرو قال كذا في

جواب: ما ذا قال عمرو؟.

٤ ـ **والتسجيلُ على السامع**، حتى لا يتأتى له الإنكار، كما إذا قال الحاكم لشاهد: هل أقر زيد هذا بأن عليه كذا، فيقول الشاهد: نعم زيد هذا أقر بأن عليه كذا.

٥ ـ **والتَّعجبُ** إذا كان الحكم غريباً، نحو: عليٌّ يقاوم الأسد، تقول ذلك مع سبق ذكره.

٦ ـ **والتعظيمُ والإهانةُ** إذا كان اللفظ يفيد ذلك، كأن يسألك سائل: هل رجع القائد؟، فتقول: رجع المنصور أو المهزوم.

ومن دواعي الحذف:

١ ـ **إخفاءُ الأمر عن غير المخاطب**، نحو: أقبلَ ـ تريد علياً مثلاً ـ.

٢ ـ **وتأتي الإنكار عند الحاجة**، نحو: لئيمٌ خسيسٌ، بعد ذكر شخص مُعيَّن.

٣ ـ **والتنبيهُ على تعيُّن**(١) **المحذوف** ولو ادعاءً، نحو: خالقُ كل شيء، ووهابُ الألوف.

---

(١) في (أ): تعيين.

٤ ـ **واختبارُ تنبهِ السامع أو مقدارِ تنبهه**، نحو: نوره مستفادٌ من نور الشمس، وواسطةُ عِقْدِ الكواكب.

٥ ـ **وضيقُ المقام، إما لتوجعٍ**، نحو:

قالَ لِي كيفَ أَنْتَ قُلتُ عَليلٌ
سَهَرٌ دائمٌ وَحُزْنٌ طَويلُ

وإِمَّا لخوف فوات فرصةٍ، نحو قول الصيَّاد: غزالٌ.

٦ ـ **والتعظيمُ والتحقيرُ**؛ لصونه عن لسانك، أو صون لسانك عنه، فالأول نحو: نجومُ سماء، والثاني نحو: قَومٌ إذا أَكَلُوا أَخْفَوْا حَدِيثَهُم.

٧ ـ **والمحافظةُ على وزن أو سجع**.

فالأول نحو:

نَحْنُ بِمَا عِندَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْـ
دَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

والثاني نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٣].

٨ ـ **والتعميمُ باختصار**، نحو: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يُونس: ٢٥].

أي: جميعَ عباده؛ لأن حذف المعمول يؤذن بالعموم.

٩ ـ والأدبُ، نحو: قول الشاعر:

قدْ طَلَبْنَا فلَمْ نجدْ لكَ فِي السْـــ

سُؤْدَدِ والمجدِ والمكَارِمِ مِثْلا

١٠ـ وتنزيلُ المتعدي منزلة اللازم؛ لعدم تعلق الغرض بالمعمول، نحو: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩].

ويُعَدُّ من الحذف إسنادُ الفعل إلى نائب الفاعل، فيقال: حُذِفَ الفاعلُ؛ للخوف منه، أو عليه، أو للعلم به، أو الجهل، نحو: سُرِقَ المتاع، ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّسَاء: ٢٨].

الباب الثالث

في التقديم والتأخير

من المعلوم أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعةً واحدة، بل لا بد من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض، وليس شيء منها في نفسه أولى بالتقدم من الآخر[(١)]؛ لاشتراك جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ في درجة الاعتبار، فلا بد لتقديم[(٢)] هذا على ذاك من داع يوجبه.

فمن الدواعي:

١ ـ **التشويقُ إلى المتأخر إذا كان المتقدم مُشعِراً بغرابة**، نحو:

والـذي حَـارتِ الـبـريـةُ فـيـهِ
حـيـوانٌ مُـسْـتَـحْـدَثٌ مِـنْ جَـمـادِ

٢ ـ **وتعجيلُ المسرة أو المساءة**، نحو: العفوُ عنك صدر به الأمر، أو القصاصُ حكم به القاضي.

(١) هذا بعد مراعاة ما تجب له الصدارة، كألفاظ الشرط وألفاظ الاستفهام، اهـ، الأصل.
(٢) في (أ): (فلا بد من تقديم هذا...) بمن بدل اللام.

٣ - **وكونُ المتقدم محطَّ الإنكار والتعجب**، نحو: أَبَعْدَ طول التجربة تنخدع بهذه الزخارف؟.

٤ - **وسلوكُ سبيل الترقي**، أي الإتيانُ بالعامِّ أولاً، ثم الخاصِّ بعده؛ لأن العامَّ إذا ذُكِر بعد الخاص لا يكون له فائدة، نحو: هذا الكلام صحيح فصيح بليغ، فإذا قلت: فصيح بليغ، لا تحتاج إلى[1] ذكر صحيح، وإذا قلت: بليغ لا تحتاج إلى ذكر صحيح ولا فصيح.

٥ - **ومراعاةُ الترتيب الوجودي**، نحو: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

٦ - **والنصُّ على عموم السلب، أو سلب العموم.**

فالأول: يكون بتقديم أداة العموم على أداة النفي، نحو: (كلُّ ذلك لم يكن)[2]، أي: لم يقع هذا ولا ذاك.

والثاني: يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم، نحو: لم يكن كل ذلك، أي: لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض، ويحتمل نفي كل فرد.

(١) في (ب): إلا بدل إلى.
(٢) جزء من حديث ذي اليدين المخرج في الصحيحين.

٧ ـ **وتقويةُ الحكم** إذا كان الخبر فعلاً، نحو: الهلال ظهر، وذلك؛ لتكرر[1] الإسناد.

٨ ـ **والتخصيصُ**، نحو: ما أنا قلت، و﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥].

٩ ـ **والمحافظةُ على وزن أو سجع.**

فالأول نحو:

إذا نَطقَ السَّفيهُ فلا تُجِبْهُ
فخيرٌ مِنْ إجابَتِهِ السُّكوتُ

والثاني نحو: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ [الحَاقَّة: ٣٠-٣٢].

ولم يُذْكَر لِكُلٍّ من التقديم والتأخير دواعٍ خاصة؛ لأنه إذا تقدم أحُد رُكْنَيِ الجملة تأخر الآخر، فهما متلازمان.

(١) في (أ) لتكرار.

الباب الرابع

في التعريف والتنكير

إذا تعلَّقَ الغرضُ بتفهيم المخاطَبِ ارتباطَ الكلام بمعيَّنٍ فالمقامُ للتعريف، وإذا لم يتعلق الغرضُ بذلك فالمقام للتنكير.

ولتفصيل هذا الإجمال نقول: من المعلوم أن المعارف: الضميرُ، والعَلَمُ، واسمُ الإشارة، والاسمُ الموصولُ، والمحلَّى بأَلْ، والمضافُ لواحدٍ مما ذُكِرَ، والمنادَى.

أما **الضمير** فيؤتَى به لكون المقام للتكلُّم، أو الخطاب، أو الغَيْبة مع الاختصار، نحو: أنا رجوتك في هذا الأمر، وأنت وعدتني بإنجازه .

والأصل في الخطاب أن يكون لمشاهَدٍ مُعيَّن، وقد يخاطَبُ غيرُ المشاهَد إذا كان مستحضَراً في القلب، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، وغيرُ المعيَّن إذا قُصِدَ تعميمُ الخطاب لكل من يمكن خطابه، نحو: اللئيم من إذا أحسنت إليه أساء إليك.

وأما **العَلَمُ** فيؤتى به لإحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاصِّ، نحو: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البَقَرَة: ١٢٧].

وقد يُقصَدُ به مع ذلك أغراضٌ أخرى:

كالتعظيمِ، في نحو: ركب سيف الدولة.

والإهانةِ في نحو: ذهب صخر.

والكنايةِ عن معنى يصلح اللفظ له في نحو: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المَسَد: ١].

وأما **اسم الإشارة** فيؤتى به إذا تعيَّن طريقاً لإحضار معناه كقولك: بعني هذا، مشيراً إلى شيء لا تعرف له اسماً، ولا وصفاً، أمّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك فيكون لأغراض أخرى:

١- **كإظهارِ الاستغراب**، نحو:

كَـمْ عـاقِـلٍ عـاقِـلٍ أَعْـيَـتْ مَـذَاهِـبُـهُ
وجَـاهِـلٍ جـاهِـلٍ تَـلْـقَـاهُ مـرْزُوقَـا
هـذَا الَّـذِي تَـرَكَ الأَوْهَـامَ حَـائـرَةً
وصَـيَّـرَ الـعَـالِـمَ الـنِّـحْـرِيـرَ زِنـدِيـقَـا

٢- وكمالِ العناية به، نحو:

هذا الَّذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ

والبيتُ يَعْرِفُهُ والْحِلُّ والحَرَمُ

٣- وبيانِ حاله في القرب والبعد، نحو: هذا يوسفُ، وذاك أخوه، وذلك غلامه.

٤- **والتعظيم**، نحو: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، و﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

٥- **والتحقيرِ**، نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢].

وأما **الموصولُ** فيؤتى به إذا تعيَّن طريقاً لإحضار معناه، كقولك: الذي كان معنا أمسِ سافرَ(١)، إذا لم تكن تعرف اسمه، أما إذا لم يتعين طريقاً لذلك فيكون لأغراض أخرى:

١ ـ **كالتعليلِ** نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

---

(١) في (أ) مسافر.

٢ ـ وإخفاءِ الأمر عن غير المخاطب، نحو:

وأَخَـذْتُ مَـا جـادَ الأَمِـيـرُ بِـهِ

وَقَـضَـيْـتُ حـاجَـاتِـي كَـمَـا أَهْـوَى

٣ ـ والتنبيهِ على الخطأ، نحو:

إِنَّ الـذيـن تُـرَونَـهُـمْ إِخْـوانَـكُـم

يَشْفِي غليلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

٤ ـ وتفخيمِ شأن المحكوم به، نحو:

إِنَّ الَّذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا

بَـيْـتـاً دَعَـائِـمُـهُ أَعَـزُّ وَأَطْـوَلُ

٥ ـ والتهويلِ تعظيماً أو تحقيراً(١)، نحو: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

ونحو: من لم يدرِ حقيقةَ الحال قال ما قال.

٦ ـ والتهكمِ، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وأما المُحلَّى بأَلْ فيؤتى به إذا كان الغرضُ الحكايةَ عن الجنس نفسه، نحو: الإنسان حيوان ناطق، وتسمى ألْ جنسيةً.

(١) في: (أ) وتحقيراً.

أو الحكايةَ عن معهود من أفراد الجنس، وعهدُه إما بتقدم ذكره، نحو: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ [المُزّمل: ١٥-١٦]، وإما بحضوره بذاته، نحو: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المَائدة: ٣]، وإما بمعرفة السامع له، نحو: ﴿إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفَتح: ١٨]، وتسمى ألْ عهديةً.

أو الحكايةَ عن جميع أفراد الجنس، نحو: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العَصر: ٢]، وتسمى ألْ استغراقيةً، وقد يُرادُ بأل الإشارةُ إلى الجنس في فردٍ مَا نحو:

وَلَقَدْ أَمُرُّ على اللئيم يسُبُّنِي
فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينِي

وإذا وقع المحلى بألْ خبراً أفاد القصرَ، نحو: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ [البُرُوج: ١٤].

وأما **المضاف لمعرفةٍ** فيؤتى به إذا تعين طريقاً لإحضار معناه أيضاً، ككتاب سيبويه، وسفينة نوح، أما إذا لم يتعين لذلك فيكون لأغراض أخرى:

١ ـ كتعذُّرِ التعداد[1]، أو تعسره، نحو: أجمع أهل الحق

(١) في (ب) التعدد.

على كذا، وأهل البلد كرام.

٢ ـ **والخروجِ** من تبعة تقديم البعض على البعض، نحو: حضر أمراء الجند.

٣ ـ **والتعظيمِ** للمضاف، نحو: كتاب السلطان [حضر][١]، أو المضافِ إليه، نحو: هذا خادمي، أو غيرِهما، نحو: أخو الوزير عندي.

٤ ـ **والتحقيرِ** للمضاف، نحو: [هذا][٢] ابن اللص، أو المضافِ إليه، نحو: اللص رفيق هذا، أو غيرِهما، نحو: أخو اللص عند عمرو.

٥ ـ **والاختصارِ** لضيق المقام، نحو:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانينَ مُصْعِدٌ
جَنِيبٌ وجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

بَدَلَ أن يقال: الذي أهواه.

وأما **المنادى** فيؤتى به إذا لم يُعرَفْ للمخاطب عُنْوَانٌ خاصٌ، نحو: يا رجلُ، ويا فتى.

وقد يؤتى به للإشارة إلى علة ما يطلب منه، نحو: يا

(١) ساقطة من (ب).
(٢) ساقطة من (ب).

غلام أحضر الطعام، ويا خادم أسرج الفرس، أو لغرض يمكن اعتباره ههنا [1] مما ذكر في النداء.

وأما النكرة فيؤتى بها إذا لم يُعلَمْ للمحكيِّ عنهُ جهةُ تعريف، كقولك: جاء ههنا[2] رجلٌ إذا لم يُعْرَفْ[3] ما يُعَيِّنُهُ من عَلَمٍ أو صِلَة، أو نحوِهما، وقد يؤتى بها لأغراض أخرى:

١ ـ **كالتكثير والتقليل**، نحو: لِفلان مالٌ، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ﴾ [التوبة: ٧٢]، أي: مال كثير، ورضوان قليل.

٢ ـ **والتعظيم والتحقير**، نحو:

لَـهُ حـاجِـبٌ عَـنْ كُـلِّ أَمْـرٍ يَـشِـيـنُـهُ
وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ العُرْفِ حَاجِبُ

٣ ـ **والعموم بعد النفي**، نحو: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، فإن النكرة في سياق النفي تعم.

٤ ـ **وقصد فردٍ معين، أو نوعٍ كذلك**، نحو: والله خلق كل دابة من ماء.

---

(١) في (ب) هنا.
(٢) في (ب) هنا.
(٣) في (ب) تعرف.

٥ ـ **وإخفاء الأمر**، نحو: قال رجل: إنك انحرفت عن الصواب، تُخْفِي اسمَه حتى لا يلحقه أذى.

الباب الخامس

في الإطلاق والتقييد

إذا اقتصر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه فالحكم مطلق، وإذا زيد عليهما شيء مما يتعلق بهما، أو بأحدهما فالحكم مقيد.

والإطلاق يكون حيث لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه؛ ليذهب السامع فيه كلَّ مذهب ممكن.

والتقييد حيث يتعلق الغرض بتقييده بوجه مخصوص، لو لم يُرَاعَ تفوت الفائدة المطلوبة.

ولتفصيل هذا الإجمال نقول:

إن التقييد يكون بالمفاعيل، ونحوها، والنواسخ، والشرط، والنفي، والتوابع، وغير ذلك.

أما **المفاعيل، ونحوها** فالتقييد بها يكون لبيان نوع الفعل، أو ما وقع عليه، أو فيه، أو لأجله، أو بمقارنته، أو بيان المبهم من الهيئة، أو الذات[1]، أو بيان عدم شمول

(١) في: (ب) والذات.

الحكم، وتكون القيودُ محطَّ الفائدة، والكلامُ بدونها، كاذباً أو غيرَ مقصود بالذات، نحو: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدّخان: ٣٨].

وأما **النواسخ** فالتقييد بها يكون للأغراض التي تؤديها معاني ألفاظ النواسخ كالاستمرار، أو الحكاية عن الزمن في كان، والتوقيت بزمن معين في ظلَّ، وبات، وأصبح، وأمسى، وأضحى، أو بحالة معينة في دامَ، والمقاربة في كاد، وكرب، وأوشك، واليقين في وجد، وألفى، ودرى، وتعلم، وهلم جراً.

فالجملة في هذا تنعقد من الاسم والخبر، أو من المفعولَيْنِ فقط، فإذا قلت: ظننت زيداً قائماً، فمعناه: زيدٌ قائمٌ على وجه الظن.

وأما **الشرط** فالتقييد به يكون للأغراض التي تؤديها معاني أدوات الشرط كالزمان في متى، وأيان، والمكان في أين، وأنى، وحيثما، والحال في كيفما، واستيفاءُ ذلك وتحقيقُ الفرق بينَ الأدوات يذكر في علم النحو، وإنما يفرق ههنا(١) بين إنْ وإذا ولوْ؛ لاختصاصها بمزايا تُعَدُّ من وجوه البلاغة.

(١) في: (ب) هنا.

فإنْ وإذا للشرط في الاستقبال، ولو للشرط في المضي، والأصل في اللفظ أن يتبع المعنى فيكون فعلاً مضارعاً، مع إنْ وإذا وماضياً مع لوْ، نحو: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩].

. . . .

وإذَا تُـرَدُّ إلـى قـلـيـلٍ تَـقْـنَـعُ

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

والفرق بين إنْ وإذا أنَّ الأصل عدم الجزم بوقوع الشرط مع إنْ، والجزم بوقوعه مع إذا، ولهذا غلب استعمال الماضي مع إذا، فكأنَّ الشرط واقع بالفعل، بخلاف إنْ.

فإذا قلت: إنْ أبرء من مرضي أتصدقْ بألف دينارٍ كنتَ شاكاً في البرء، وإذا قلت: إذا برئتُ من مرضي تصدقتُ كنتَ جازماً به أو كالجازم.

وعلى ذلك فالأحوال النادرة تُذْكَر في حَيِّزِ إنْ، والكثيرة في حَيِّزِ إذا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]، فلكون مجيء الحسنة محققّاً - إذِ[1] المراد بها

(١) في (أ) إذا.

مطلق الحسنة الشامل لأنواع كثيرة، كما يفهم من التعريف بأل الجنسية ـ ذُكِر مع إذا، وعُبِّر عنه بالماضي، ولكون مجيء السيئة نادراً ـ إذ المراد بها نوع مخصوص، كما يفهم من التنكير، وهو الجذْب ـ ذُكِر مع إنْ، وعُبِّر عنه بالمضارع، ففي الآية من وصفهم بإنكار النعم، وشدة التحامل على موسى عليه السلام ما لا يخفى.

ولوْ للشرط في المضي، ولذا يليها الفعل الماضي، نحو: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

ومما تقدم يعلم أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب، فإذا قلت: إن اجتهد زيد أكرمته كنتَ مخبراً بأنك ستكرمه، ولكن في حال حصول الاجتهاد لا في عموم الأحوال، ويتفرع على هذا أنها تعد خبرية أو إنشائية باعتبار جوابها.

وأما النفي فالتقييد به يكون بسلب النسبة على وجه مخصوص مما تفيده أحرف النفي، وهي ستة: لا، وما، وإنْ، ولن، ولم، ولما.

فلا للنفي مطلقاً(١)، وما وإنْ لنفي الحال إن دخلا على المضارع، ولن لنفي الاستقبال.

(١) قال في المصباح: إذا دخلت لا على المستقبل عمت جميع الأزمنة إلا إذا خص بقيد، =

ولم ولما لنفي المضيِّ إلا أنه بلمَّا ينسحب على زمن التكلم، ويختص بالمتوقع، وعلى هذا فلا يقال: لما يقم زيد ثم قام، ولا: لما يجتمع النقيضان، كما يقال: لم يقم[1] ثم قام، ولم يجتمعا، فلمَّا في النفي تقابل قدْ في الإثبات، وحينئذ يكون منفيها قريباً من الحال، فلا يصح: لما يجيء محمد في العام الماضي.

وأما **التوابع** فالتقييد بها يكون للأغراض التي تقصد منها.

فالنعت يكون للتمييزِ، نحو: حضر علي الكاتب، والكشفِ، نحو: الجسم الطويل العريض العميق يشغل حيزاً من الفراغ، والتأكيدِ، نحو: تلك عشرة كاملة، والمدحِ، نحو: حضر خالد الهمام، والذمِّ، نحو: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المَسَد: ٤]، والترحمِ، نحو: أحسن إلى خالدٍ[2] المسكين.

= وإذا دخلت على الماضي نحو: (والله لا قمت) قلبت معناه إلى الاستقبال، وصار المعنى: (والله لا أقوم)، وإذا أريد الماضي قيل: والله ما قمت، وقال بعض: إن لا إذا دخلت على النفي أفادت نفي الحال كما وإنْ، وقد اتبعنا ذلك في الكتاب الرابع. (المؤلفون). هذه الحاشية ساقطة من (أ).

(١) في (أ) لم يقم زيد.

(٢) في (أ) ارحم إلى خالد.

وعطف البيان يكون لمجرد التوضيح، نحو:

أَقْسَمَ بالله أَبُو حَفْصٍ عُمَرْ

....

أو للتوضيح مع المدح، نحو: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

ويكفي في التوضيح، أن يوضح الثاني الأولَ عند الاجتماع، وإن لم يكن أوضحَ منه عند الانفراد، كعلي زين العابدين، والعسجد الذهب[1].

وعطف النسق يكون للأغراض التي تؤديها أحرف العطف، كالترتيب مع التعقيب في الفاء، ومع التراخي في ثُمَّ.

والبدلُ يكون لزيادة التقرير، والإيضاح، نحو: قدم ابني عليٌّ في بدل الكل، وسافر الجندُ أغلَبُهُ في بدل البعض، ونفعني الأستاذُ علمُه في بدل الاشتمال.

(١) في (ب) والعسجد أي الذهب.

الباب السادس

في القصر

القصر: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وينقسم إلى حقيقي، وإضافي.

فالحقيقي: ما كان الاختصاص فيه بحسب الواقع والحقيقة، لا بحسب الإضافة إلى شيء آخر، نحو: لا كاتبَ في المدينة إلا عليٌّ، إذا لم يكن غيره فيها من الكتاب.

والإضافي ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين، نحو: ما عليٌّ إلا قائم، أي: أن له صفةَ القيام لا صفةَ القعود، وليس الغرض نفي جميع الصفات عنه ما عدا صفة القيام.

وكلٌّ منهما ينقسم إلى قصر صفة على موصوف، نحو: لا فارسَ إلا عليٌّ، وقصر موصوف على صفة، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤]، فيجوز عليه الموت.

والقصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام: قصر إفراد إذا اعتقد المخاطب الشركة، وقصر قلب إذا اعتقد العكس، وقصر تعيين إذا اعتقد واحداً غير معين.

وللقصر طرق، منها: النفي والاستثناء، نحو: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٣١].

ومنها: إنما، نحو: إنما الفاهم عليٌ.

ومنها العطف بلا، أو بل، أو لكن، نحو: أنا ناثرٌ لا ناظمٌ، وما أنا حاسبٌ بل كاتبٌ.

ومنها تقديمُ ما حقه التأخيرُ، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥].

الباب السابع

في الوصل والفصل

الوصل عطف جملةٍ على أخرى، والفصل تركه.

والكلام ههنا قاصرٌ على العطف بالواو؛ لأن العطف بغيرها لا يقع فيه اشتباه، ولكلٍّ من الوصل بها، والفصلِ مواضع:

مواضع الوصل بالواو:

يجب الوصل في موضعين:

الأول: إذا اتفقت الجملتان خبراً أو إنشاء، وكان بينهما جهة جامعة، أي: مناسبة، تامة، ولم يكن مانع من العطف، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، ونحو: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

الثاني: إذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود، كما إذا قلتَ: لا وشفاه الله جواباً لمن يسألك: هل برئ علي من المرض، فترك الواو يوهم الدعاء عليه، وغرضُك الدعاء له.

مواضع الفصل:

يجب الفصل في خمسة مواضع:

الأول: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، بأن تكون الثانية بدلاً من الأولى، نحو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٣٢-١٣٣]، أو بأن تكون بياناً لها، نحو: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠]، أو بأن تكون مؤكدة لها، نحو: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطّارق: ١٧].

ويقال في هذا الموضع: إن بين الجملتين كمال الاتصال.

الثاني: أن يكون بين الجملتين تباين تام بأن يختلفا خبراً وإنشاء، كقوله:

وقال رائِدُهُمْ أرسُوا نُزَاوِلُها
فحَتْفُ كُلِّ امرِئٍ يجري بمقدارِ

أو بأن لا يكون بينهما مناسبة [في المعنى][1]، كقولك: عليٌّ كاتب، الحمام طائر، فإنه لا مناسبة [في المعنى][2] بين كتابة علي وطيران الحمام.

---

(١) ساقطة من (ب).
(٢) ساقطة من (ب).

ويقال في هذا الموضع إن بين الجملتين كمال الانقطاع[1].

الثالث: كون الجملة الثانية جواباً عن سؤالٍ نشأ من الجملة الأولى، كقوله:

زَعَمَ العواذِلُ أَنَّني في غَمْرَةٍ
صَدَقُوا ولَكِنْ غَمْرَتِي لا تَنْجَلِي

كأنه قيل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟، فقال: صدقوا .

ويقال: بين الجملتين شبه كمال الاتصال.

الرابع: أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على إحداهما؛ لوجود المناسبة، وفي عطفها على الأخرى فسادٌ، فيترك العطف دفعاً للوهم، كقوله:

وتظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أبغِي بها
بدَلاً أرَاهَا في الضَّلالِ تَهِيمُ

فجملة (أراها) يصح عطفها على تظن، لكن يمنع من هذا توهم عطفها على جملة (أبغي بها)، فتكون الجملة

(١) كما يقال في الموضع الثاني من الوصل والعطف هناك لدفع الإيهام. (المؤلفون).

الثالثة من مظنونات سَلمى مع أنه ليس مراداً.

ويقال بين الجملتين في هذا الموضع شبه كمال الانقطاع.

الخامس: أن لا يقصد تشريك الجملتين في الحكم لقيام مانع، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۞ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، فجملة (الله يستهزئ بهم) لا يصح عطفها على (إنا معكم)، لاقتضائه أنه من مقولهم، ولا على جملة (قالوا) لاقتضائه أن استهزاء الله بهم مقيد بحال خلوهم إلى شياطينهم.

ويقال: بين الجملتين في هذا الموضع توسط بين الكمالين[١].

(١) كما يقال بين الجملتين في الموضع الأول من الوصل غير أن الفصل هنا لقصد عدم التشريك. (المؤلفون).

الباب الثامن

في الإيجاز والإطناب والمساواة

كل ما يجول في الصدر من المعاني يمكن أن يعبر عنه بثلاث طرق:

١ ـ **المساواة**، وهي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له، بأن تكون على الحد الذي جرى به عرف أوساط الناس، وهم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلاغة، ولم ينحطُّوا إلى درجة الفَهَاهة، نحو: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٢ ـ **والإيجاز**، وهو تأدية المعنى بعبارة ناقصة عنه مع وفائها بالغرض، نحو:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حبيبٍ ومنزلِ

. . . .

فإذا لم يَفِ بالغرض سُمِّيَ إخلالاً، كقوله:

والعَيْشُ خيرٌ في ظِلا

لِ النَّوْكِ ممنْ عاشَ كَدَّا

مراده أن العيش الرغد في ظلال الحُمْقِ خير من العيش الشاقِّ في ظلال العقل.

٣ - **والإطناب**، وهو تأدية المعنى بعبارة زائدة عنه مع الفائدة، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مَريَم: ٤]، أي: كَبِرْتُ.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سمي تطويلاً إن كانت الزيادة غير متعينة، وحشواً إن تعينتْ.

فالتطويل، نحو:

....

وألفى قولَها كذِباً ومَيْنَا

والحشوُ نحو:

وأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قبلَهُ

....

ومن دواعي الإيجاز: تسهيل الحفظ، وتقريب الفهم، وضيق المقام، والإخفاء، وسآمة المحادثة.

ومن دواعي الإطناب: تثبيت المعنى، وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإيهام.

أقسام الإيجاز:

الإيجاز إما أن يكون بتضمن العبارة القصيرة معانيَ كثيرة، وهو مركز عناية البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، ويسمى إيجازَ قِصَرٍ، نحو: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البَقَرَة: ١٧٩].

وإما أن يكون بحذف كلمة، أو جملة، أو أكثر، مع قرينة تعين المحذوف، ويسمى إيجازَ حذف.

فحذف الكلمة كحذف (لا) في قول امرئ القيس:

فقلتُ يمينُ اللهِ أبرحُ قاعداً
ولو قَطَعُوا رأسي لَدَيْكِ وأوصَالِي

وحذف الجملة كقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فَاطِر: ٤]، أي: فتأس واصبر.

وحذف الأكثر نحو: قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ ❁ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يُوسُف: ٤٥-٤٦]، أي: أرسلوني إلى يوسف؛ لأستعبره الرؤيا، ففعلوا، فأتاه، وقال له: يا يوسف.

أقسام الإطناب:

الإطناب يكون بأمور كثيرة:

منها: ذكر الخاص بعد العام، نحو: اجتهدوا في

دروسكم واللغة العربية، وفائدته التنبيه على فضل الخاص، كأنه لرفعته جنس آخرُ مغاير لما قبله.

ومنها: ذكر العام بعد الخاص، كقوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نُوح: ٢٨].

ومنها: **الإيضاح بعد الإبهام**، نحو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٣٢-١٣٣].

ومنها: **التوشيع**، وهو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسر باثنين، كقوله:

أُمسي وأُصبح مِنْ تَذْكَارِكُمْ وَصِباً
يَرْثِي لِيَ المشفِقَانِ الأهلُ والولدُ

ومنها: **التكرير**؛ لغرض، كطول الفصل في قوله:

وإِنَّ امْرَأً دَامتْ مواثيقُ عهدِه
عَلى مثلِ هذا إنه لكريمُ

وكزيادة الترغيب في العفو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغَابُن: ١٤].

وكتأكيد الإنذار في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤].

ومنها: **الاعتراض**، وهو توسط لفظ بين أجزاء جملة، أو بين جملتين مرتبطتين معنى لغرض، نحو:

إنَّ الثَّمانينَ وَبُلِّغْتَها
قد أَحْوَجتْ سمعي إلى تَرْجُمَانْ

ونحو قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

ومنها: **الإيغال**، وهو ختم الكلام بما يفيد غرضاً يتم المعنى بدونه، كالمبالغة في قول الخنساء:

وإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهداةُ به
كأنه عَلَمٌ في رأسه نارُ

ومنها: **التذييل**، وهو: تعقيب الجملة بأخرى تشتمل على معناها تأكيداً لها.

وهو إما أن يكون جارياً مجرى المثل؛ لاستقلال معناه، واستغنائه عما قبله، كقوله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وإما أن يكون غيرَ جار مجرى المثل؛ لعدم استغنائه عما قبله، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سَبَإ: ١٧].

ومنها: **الاحتراس** وهو: أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، نحو:

فَسَقَى ديارَكِ غيرَ مُفسِدِها
صَوْبُ الربيع وديمة تَهْمِي

ومنها: **التكميل**، وهو: أن يؤتى بفضلة تزيد المعنى حسناً، نحو: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسَان: ٨]، أي: مع حبه(١)، وذلك أبلغ في الكرم.

(١) في (ب) أي مع حب الطعام.

الخاتمة
في إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

إيراد الكلام على حسب ما تقدم من القواعد يسمى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر، وقد تقتضي الأحوال العدول عن مقتضى الظاهر، ويورَد الكلام على خلافه في أنواع مخصوصة:

منها: تنزيل العالم بفائدة الخبر، أو لازمها منزلة الجاهل بها؛ لعدم جريانه[1] على موجَبِ علمه، فيُلقَى إليه الخبر كما يُلقَى إلى الجاهل، كقولك لمن يؤذي أباه: هذا أبوك.

ومنها: تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا لاح عليه شيء من علامات الإنكار، فيؤكد له، نحو:

جاء شَقِيقٌ عارضاً رُمْحَه
إنَّ بني عمِّك فيهمْ رِمَاح

(١) في (ب) جريه.

وكقولك للسائل المستبعِد حصولَ الفرج: إن الفرج لقريب.

وتنزيل المنكر، أو الشاكِّ منزلة الخالي إذا كان معه من الشواهد ما إذا تأمله زال إنكاره، أو شَكُّه، كقولك لمن ينكر منفعةَ الطب، أو يشكُّ فيها: الطب نافع.

ومنها: وضع الماضي موضع المضارع؛ لغرض، كالتنبيهِ على تحقق الحصول، نحو: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النّحل: ١]، أو التفاؤلِ، نحو: إن شفاك الله اليوم تذهب معي غداً.

وعَكْسُهُ، أي: وضع المضارع موضع الماضي؛ لغرض، كاستحضارِ الصورة الغريبة في الخيال، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ [الرُّوم: ٤٨]، أي: فأثارت، وإفادةِ الاستمرار في الأوقات الماضية، نحو: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحُجرَات: ٧]، أي: لو استمر على إطاعتكم.

ومنها: وضعُ الخبر موضع الإنشاء؛ لغرض، كالتفاؤلِ، نحو: هداك الله لصالح الأعمال، وإظهارِ الرغبة، نحو: رزقني الله لقاءك، والاحترازِ عن صورة الأمر تأدباً، كقولك: ينظر مولاي في أمري.

وعكْسُهُ، أي: وضع الإنشاء موضع الخبر؛ لغرض، كإظهارِ العناية بالشيء، نحو: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]، لم يقل: (وإقامة وجوهكم) عناية بأمر الصلاة، والتحاشي عن موازاة اللاحق بالسابق، نحو: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤]، لم يقل: (وأشهدكم) تحاشياً عن موازاة شهادتهم بشهادة الله، والتسوية، نحو: ﴿أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٣].

ومنها: الإضمار في مقام الإظهار؛ لغرض، كادعاءِ أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، كقول الشاعر:

أَبَتِ الوِصالَ مخافَةَ الرُّقَبَاءِ

وأتَتْك تحت مَدَارِع الظلماءِ

الفاعل ضمير لم يتقدم له مرجع، فمقتضى الظاهر الإظهار.

وتمكينِ ما بعد الضمير في نفس السامع؛ لتشوقه إليه، أولاً، نحو:

....

هي النفسُ ما حمَّلتَهَا تتحَمَّل

﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، نِعْمَ تلميذاً المؤَدَّبُ[1].

وعكْسُه، أي: الإظهارُ في مقام الإضمار؛ لغرض، كتقويةِ داعي الامتثال، كقولك لعبدك: سيدك يأمرك بكذا.

ومنها: الالتفات، وهو نقل الكلام من حالة التكلم أو الخطاب، أو الغَيْبَة إلى حالة أخرى من ذلك.

فالنقل من التكلم إلى الخطاب نحو: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢]، أي: أُرجَع، ومن التكلم إلى الغَيْبَة نحو: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١-٢]، ومن الخطاب إلى التكلم كقول الشاعر:

أتطلبُ وَصْلَ رَبَّاتِ الْجَمالِ
وقد سَقطَ المشيبُ على قَذالِي

ومنها: تجاهل العارف وهو: سوق المعلوم مساق غيره؛ لغرض، كالتوبيخ، نحو:

أيا شَجرَ الخابُور ما لَكَ مُورِقاً
كَأَنَّكَ لم تجزعْ على ابن طَرِيفِ

(١) في (أ) نعم تلميذ المؤدب.

ومنها: أسلوب الحكيم، وهو: تَلَقِّي الْمُخَاطِبِ بغير ما يترقبه، أو السائل بغير ما يطلبه تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد.

فالأول: يكون بحمل الكلام على خلاف مراد قائله، كقول الْقَبَعْثَرَى للحَجَّاج ـ وقد توعده بقوله: لأحمِلَنَّكَ على الأدهم ـ: مثلُ الأمير يحمل على الأدهم والأَشْهَب، فقال له الحَجَّاج: أردتُ الحديدَ، فقال القَبَعْثَرَى: لأَنْ يكون حديداً خيرٌ مِنْ أن يكون بليداً، أراد الحَجَّاج بالأدهم القيدَ، وبالحديد المعدنَ المخصوص، وحملهما القَبَعْثَرَى على الفرس الأدهم الذي ليس بليداً.

والثاني: يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخرَ مناسبٍ لحالة السائل، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩].

سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يتزايد حتى يصير بدراً، ثم يتناقص حتى يعود كما بدأ؟، فجاء الجواب عن الحكمة المترتبة على ذلك؛ لأنها أهم للسائل، فنزل سؤالهم عن سبب الاختلاف منزلة السؤال عن حكمته.

ومنها: التغليب، وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه كتغليب المذكر على المؤنث، في قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]، ومنه الأبوان للأب والأم، [وكتغليب المذكر والأَخَفِّ على غيرهما][(١)]، نحو: القمرين، أي: الشمس والقمر، والعمرين، أي: أبي بكر وعمر، [والأكثر على الكل][(٢)]، نحو: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، أدخل شعيب بحكم[(٣)] التغليب [في (لتعودن في ملتنا)][(٤)] مع أنه لم يكن فيها قَطُّ حتى يعود إليها، وكتغليب العاقل على غيره، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

(١) في (ب) وكتغليب الأخف على غيره.
(٢) في (أ) والمخاطب على غيره.
(٣) في (ب) في حكم.
(٤) في (ب) في العود إلى ملتهم.

علم البيان

علم البيان: البيان علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية[1].

التشبيه:

التشبيه: إلحاق أمر بأمر في وصف بأداة لغرض.

والأمر الأول يسمى المشبّه، والثاني المشبه به، والوصف وجه الشبه، والأداة الكاف أو نحوها، نحو: العلم كالنور في الهداية، فالعلم مشبه، والنور مشبه به، والهداية وجه الشبه، والكاف أداة التشبيه.

ويتعلق بالتشبيه ثلاثة مباحث، الأول: في أركانه، والثاني: في أقسامه، والثالث: في الغرض منه.

(١) وقد عرفوا البيان ـ أيضاً ـ بأنه قواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، كالتعبير عن الكرم بعبارات التشبيه والمجاز والكناية، والأقرب أن يقال: علم البيان علم يبحث فيه عن التشبيه، والمجاز والكناية، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث، وقد اتبعنا ذلك تسهيلاً على التلامذة. (المؤلفون).

المبحث الأول

في أركان التشبيه

أركان التشبيه أربعة: المشبه، والمشبه به - ويسمَّيان طرفي التشبيه -، ووجه الشبه، والأداة.

والطرفان: إمَّا حسيان[1]، نحو: الورق كالحرير في النعومة.

وإما عقليان[2] نحو: الجهل كالموت.

(١) المراد بالحسي: ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة.
ومن الثاني قوله:
وكأن محمر الشقيـق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد
فإن المشبه به - وهو الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية - وإن كان معدوماً لا يدركه الحس إلا أن مادته - وهي الأعلام، والياقوت، والرماح، والزبرجد - مما يدرك بالبصر، ومثل هذا التشبيه يسمى بالخيالي. (المؤلفون).

(٢) المراد بالعقلي: ما لا يكون هو ولا مادته مدركاً بتلك الحواس، ومنه ما ليس مدركاً هو ولا مادته بالحس، لكن لو وجدفي الخارج لكان مدركاً بها، نحو: قوله:
أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال
فإن أنياب الأغوال لم توجد هي ولا مادتها، وإنما الوهم اخترعها، ولو وجدت لأدركت بالحس، ومثل هذا التشبيه، يسمى بالوهمي. (المؤلفون).

وإما مختلفان، نحو: خُلُقُه كالعطر.

ووجه الشبه هو الوصف الخاص الذي قُصِدَ اشتراكُ الطرفين فيه، كالهداية في العلم والنور(١).

وأداة التشبيه هي اللفظ الذي يدل على معنى المشابهة، كالكاف، وكَأَنَّ، وما في معناهما.

و(الكاف) يليها المشبه به، بخلاف (كأنَّ) فيليها المشبه، نحو:

كأنَّ الثُّرَيَّا راحةٌ تَشْبُرُ(٢) الدُّجَى
لِتنظُرَ طَالَ الليلُ أمْ قد تَعَرَّضَا

و(كأنَّ) تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامداً، والشك إذا كان خبرها مشتقاً، نحو: كأنك فاهمٌ.

وقد يذكر فعلٌ ينبئ عن التشبيه، نحو: قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

وإذا حذفت أداة التشبيه ووجهه، يسمى تشبيهاً بليغاً، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبإ: ١٠]، أي: كاللباس في الستر.

---

(١) ويكون وجه الشبه محققاً كما في المثال، ومتخيلاً كما في قوله:
يا من له شعر كحظي أسود
فإن وجه الشبه ـ وهو السواد ـ متخيل في الحظ. (المؤلفون).

(٢) في (أ) تشبه.

المبحث الثاني

في أقسام التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام:

تشبيهُ مفردٍ بمفرد[1]، نحو: هذا الشيء كالمسك في الرائحة.

وتشبيهُ مركبٍ بمركب، بأن يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة حاصلة من عدة أمور، كقول بَشَّار:

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فوقَ رُؤوسِنَا
وأسْيَافَنَا ليلٌ تَهَاوَى كواكِبُهْ

فإنه شبه هيئة الغبار وفيه السيوف مضطربة، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط في جهات مختلفة.

(١) وقد يكون المفرد مقيداً، نحو: الساعي بغير طائل كالراقم على الماء، فإن المشبه هو الساعي المقيد بأن لا يحصل من سعيه على شيء، والمشبه به هو الراقم المقيد بكون رقمه على الماء دون غيره، ويشترط في القيد أن يكون له دخل في وجه الشبه كما في هذا المثال، وعلى هذا جعل قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البَقَرَة: ١٨٧] من تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد. (المؤلفون).

وتشبيه مفرد بمركب، كتشبيه الشقيق بهيئة أعلام ياقُوتِيَّة منشورة على رماح زَبَرْجَدِيَّة.

وتشبيه مركب بمفرد، نحو: قوله:

يا صَاحِبَيَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيْكُمَا
تَرَيَا وُجُوهَ الأرضِ كيفَ تَصَوَّرُ
تَرَيَا نَهَاراً مُشْمِساً قدْ شَابَهُ
زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا هوَ مُقْمِرُ

فإنه شبه هيئة النهار المشمس الذي اختلطت به أزهار الربوات بالليل المقمر.

وينقسم باعتبار الطرفين أيضاً إلى ملفوف ومفروق.

فالملفوف: أن يؤتى بمشبَّهين، أو أكثر، ثم بالمشبه بها، نحو:

كأَنَّ قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابساً
لدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والْحَشَفُ البَالِي

فإنه شبه الرَّطْبَ الطَّرِيَّ من قلوب الطير بالعُنَّابِ، واليابس العتيق منها بالتمر الرديء.

والمفروق: أن يؤتى بمشبه ومشبه به، ثم آخر وآخر، نحو:

الـنَّـشْـرُ مِـسْـكٌ والـوجـوهُ دَنَـا
نِـيـرٌ وأَطْـرَافُ الأَكُـفِّ عَـنَـمْ

وإن تعدد المشبه دون المشبه به سُمِّيَ تَشْبِيهَ التسوية، نحو:

صُـدْغُ الْـحَـبِـيـبِ وحَـالِـي
كِـلاهُـمَـا كَـالـلـيـالـي

وإن تعدد المشبه به دون المشبه سمي تشبيهَ الجمع، نحو:

كـأنـمـا يَـبْـسِـمُ عـن لُـؤْلُـؤٍ
مُـنَـضَّـدٍ أَوْ بَـرَدٍ أَوْ أَقَـاحْ[1]

وينقسم باعتبار وجه الشبه إلى تمثيل، وغير تمثيل.

فالتمثيل: ما كان وجهه منتزعاً من متعدد، كتشبيه الثُّرَيَّا بعُنْقُودِ العِنَبِ المنور.

وغير التمثيل: ما ليس كذلك، كتشبيه النجم بالدرهم.

وينقسم بهذا الاعتبار أيضاً إلى مفصل ومجمل.

فالأول: ما ذكر فيه وجه الشبه، نحو:

(١) الأقاحي: جمع أقحوان وهو البابونج. (المؤلفون)، هذه الحاشية ساقطة من (أ).

وثَــــغْـــــرُهُ فـــــي صَـــــفَـــــاءٍ
وأَدْمُــــعِــــي كـــالـــلآلـــي

والثاني: ما ليس كذلك، نحو: النحو في الكلام كالملح في الطعام.

وينقسم باعتبار أداته إلى:

مؤكد، وهو: ما حذفت أداته، نحو: هو بحر في الجود.

ومرسل، وهو: ما ليس كذلك، نحو: هو كالبحر كرماً.

ومن المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، نحو:

والريحُ تَعْبَثُ بالغصونِ وقدْ جَرَى
ذَهَبُ الأصيلِ على لُجَيْنِ الماءِ

المبحث الثالث

في أغراض التشبيه

الغرض من التشبيه إما بيان إمكان المشبه، نحو:

فَإِنْ تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهمْ
فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

فإنه لما ادعى أن الممدوح مباينٌ لأصله بخصائصَ جعلته حقيقة منفردة، احتج على إمكان دعواه بتشبيهه بالمسك الذي أصله دم الغزال.

وإما بيان حاله، كما في قوله:

كأنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ
إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وإما بيان مقدار حاله، نحو:

فِيهَا اثنتانِ وأربعونَ حَلُوبةً
سُوداً كخافيةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ

شبه النوق السود بخافية الغراب؛ بياناً لمقدار سوادها.

وإما تقرير حاله، نحو:

إنَّ الـقـلـوبَ إذا تـنـافـرَ ودُّهَـا
مثلُ الزجاجةِ كسرُهَا لا يجبرُ

شبه تنافر القلوب بكسر الزجاجة؛ تثبيتاً لتعذر عودتها إلى ما كانت عليه من المودة.

وإما تزيينه، نحو:

سَـودَاءُ واضـحـةُ الـجـبـيـن
كـمُـقْـلَـةِ الـظَّـبْـيِ الـغَـرِيـرِ

شبه سوادها بسواد مقلة الظبي؛ تحسيناً لها.

وإما تقبيحه، نحو:

وإذا أشـارَ مُـحَـدِّثـاً فـكـأنـه
قِـردٌ يُـقَـهْـقِـهُ أو عـجـوزٌ تَـلـطِـمُ

وقد يعود الغرض إلى المشبه به إذا عُكِسَ طرفا التشبيه، نحو:

وبـدَا الـصَّـبـاحُ كـأنَّ غُـرَّتَـهُ
وجْـهُ الـخـلـيـفـةِ حـيـنَ يـمـتَـدَحُ

ومثل هذا يسمى بالتشبيه المقلوب.

المجاز[1]

هو اللفظ[2] المستعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى السابق، كالدرر المستعملة في الكلمات الفصيحة في قولك: فلان يتكلم بالدرر، فإنها مستعملة في غير ما وضعت له؛ إذ قد وضعت في الأصل للآلئ الحقيقية، ثم نقلت إلى الكلمات الفصيحة، لعلاقة المشابهة بينهما، في الحسن، والذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينة يتكلم.

وكالأصابع المستعملة في الأنامل في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البَقَرَة: ١٩]، فإنها مستعملة في غير ما وضعت له؛ لعلاقة أن الأنملة جزء من الأصبع، فاستعمل الكل في الجزء، وقرينة ذلك أنه لا يمكن جعل الأصابع بتمامها في الآذان.

(١) إذا أطلق المجاز لا ينصرف إلا إلى اللغوي، وسيأتي مجاز يسمى بالمجاز العقلي. (المؤلفون).

(٢) عبر باللفظ دون الكلمة ليشمل التعريف المجاز المفرد والمجاز المركب. (المؤلفون).

والمجاز إن كانت علاقته المشابهة بين المعنى المجازي، والمعنى الحقيقي، كما في المثال الأول يسمى استعارة، وإلا فمجاز مرسل، كما في المثال الثاني.

الاستعارة:

الاستعارة هي: مجاز علاقته المشابهة، كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، أي: من الضلال إلى الهدى(١)، فقد استعملت الظلمات والنور في غير معناهما الحقيقي، والعلاقة المشابهة بين الضلال والظلام، والهدى والنور، والقرينة ما قبل ذلك.

وأصل الاستعارة: تشبيهٌ حُذِف أحد طرفيه، ووجه شبهه، وأداته.

والمشبه يسمى مستعاراً له، والمشبه به مستعاراً منه، ففي هذا المثال المستعار له هو الضلال، والهدى، والمستعار منه هو معنى الظلام، والنور، ولفظ الظلمات والنور يسمى مستعاراً.

---

(١) ويقال في إجرائها: شبهت الضلالة بالظلمة بجامع عدم الاهتداء في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية. (المؤلفون).

وتنقسم الاستعارة إلى مُصَرَّحَة، وهي: ما صُرِّحَ فيها بلفظ المشبه به كما في قوله:

فأَمْطَرَتْ لؤلؤاً مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرْداً وعَضَّتْ على العُنَّابِ بالبَرَدِ

فقد استعار اللؤلؤَ، والنَرْجِسَ، والوَرْدَ، والعُنَّابَ، والبَرَدَ للدموع، والعيون، والخدود، والأنامل، والأسنان.

وإلى مَكْنِيَّةٍ، وهي: ما حذف فيها المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، كقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤][١]، فقد استعار الطائرَ للذُّلِ، ثم حذفه، ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح، وإثبات الجناح للذل يسمونه استعارة تَخْيِيْلِيَّة.

وتنقسم الاستعارة إلى أصلية، وهي: ما كان فيها المستعار اسماً غير مشتق كاستعارة الظلام للضلال، والنور للهدى، وإلى تَبَعِيَّةٍ، وهي: ما كان فيها المستعار فعلاً، أو حرفاً، أو اسماً، مشتقاً، نحو: ركب فلان[٢] كَتِفَيْ

---

(١) ويقال في إجرائها: شبهت الذل بطائر واستعير لفظ المشبه وهو الطائر للمشبه وهو الذل على طريق الاستعارة المكنية، الأصلية، ثم حذف الطائر، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح. (المؤلفون).

(٢) في (أ) فلان ركب.

غريمه[1]، أي: لازمه ملازمة شديدة، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ [لقمان: ٥][2]، أي: تمكنوا من الحصول على الهداية التامَّة، ونحو قوله:

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحاً
فَلِسانُ حالِيَ بِالشِّكَايَةِ أَنْطَقُ

[أي: أدل][3] ونحو: أذقته[4] لباسَ الموت، أي: ألبسته إياه.

وتنقسم الاستعارة إلى:

مُرَشَّحَة، وهي: ما ذكر فيها مُلائِمُ المشبه به، نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة: ١٦]، فالاشتراء مستعار للاستبدال، وذكر الربح والتجارة ترشيح.

(١) ويقال في إجرائها: شبه اللزوم الشديد بالركوب بجامع السلطة والقهر، واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب، للمشبه، وهو اللزوم ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. (المؤلفون).

(٢) ويقال في إجرائها: شبه مطلق ارتباط بين مهدي وهدى، بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه، بجامع التمكن في كل، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات، ثم استعيرت (على) من جزئي من جزئيات المشبه به بجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. (المؤلفون).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٤) ويقال في إجرائها: شبهت الإذاقة بالإلباس، واستعير الإلباس للإذاقة، واشتق منه: ألبس بمعنى أذاق على طريق الاستعارة المكنية التبعية، ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو اللباس. (المؤلفون).

وإلى مجردة، وهي: التي ذكر فيها مُلائمُ المشبه، نحو: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]، استعير اللباس لما غشي الإنسان عند الجوع والخوف، والإذاقة تجريد، لذلك.

وإلى مطلقة، وهي التي لم يذكر معها مُلائِمٌ، نحو: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧].

ولا يعتبر الترشيح والتجريد إلا بعد تمام الاستعارة بالقرينة.

المجاز المرسل:

هو مجاز علاقته غير المشابهة:

١ ـ كالسببيةِ في قولك: عظمت يد فلان [عندي][١]، أي: نعمته التي سببها اليد.

٢ ـ والمسبَّبيةِ في قولك: أمطرت السماء نباتاً، أي: مطراً يتسبب عنه النبات.

٣ ـ والجزئيةِ في قولك: أُرْسِلَتِ العيونُ لتَطَّلِعَ على أحوال العدوِّ، أي: الجواسيسُ.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

٤ ـ والكليةِ في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البَقَرَة: ١٩]، أي أناملهم.

٥ ـ واعتبارِ ما كان في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النِّسَاء: ٢]، أي: البالغين.

٦ ـ واعتبارِ ما يكون في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يُوسُف: ٣٦]، أي: عنباً.

٧ ـ والمحليةِ، في قولك [(١)]: قرر المجلس ذلك، أي: أهلُه.

٨ ـ والحالِّيةِ في قوله تعالى: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٧]، أي: جنته.

المجاز المركب [(٢)]:

المركب إن استعمل في غير ما وُضِع له، فإن كان لعلاقة غير المشابهة سمي مجازاً مركباً، كالجمل الخبرية، إذا استُعْمِلَتْ في الإنشاء، نحو قوله:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانين مُصْعِدٌ
جَنِيبٌ وجُثْمَانِي بمكةَ مُوثَقُ

(١) في: (أ) نحو: بدل (في قولك).
(٢) المجاز المركب بقسميه من المجاز اللغوي. (المؤلفون). هذه الحاشية ساقطة من (أ).

فليس الغرض من هذا البيت الإخبارَ، بل إظهار التحزن، والتحسر.

وإن كانت علاقته المشابهة سميَ استعارةً تمثيليةً، كما يقال للمتردد في أمر: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى[1].

المجاز العقلي:

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له عند المتكلم في الظاهر؛ لعلاقة، نحو قوله:

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكَبيـ
رَ كَرُّ الغداةِ ومَرُّ العَشِي

فإنّ إسنادَ الإشابة والإفناء إلى كر الغداة ومرور العشي إسناد إلى غير ما هو له؛ إذ الْمُشِيبُ والمفني في الحقيقة هو الله تعالى.

ومن المجاز العقلي إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول، نحو: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: ٢١]، وعكسه، نحو: سيل مُفْعَمٌ،

(١) ويقال في إجراء الاستعارة: شبهنا صورة تردده في هذا الأمر بصورة تردد من قام ليذهب، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريده فيؤخر أخرى، ثم استعرنا اللفظ الدال على صورة المشبه به لصورة المشبه.
والأمثال السائرة كلها من قبيل الاستعارة التمثيلية. (المؤلفون).

والإسناد إلى المصدر، نحو: جَدَّ جِدُّهُ، وإلى الزمان، نحو: نهاره صائم، وإلى المكان، نحو: نَهَرٌ جارٍ، وإلى السبب، نحو: بنى الأمير المدينة[1].

ويعلم مما سبق أن المجاز اللغوي يكون في اللفظ، والمجاز العقلي يكون في الإسناد.

الكناية:

هي: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى، نحو: طويل النجاد، أي: طويل القامة، وتنقسم باعتبار المكني عنه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: كناية يكون المكنيُّ عنه فيها صفةً، كقول الخنساء:

طويلُ النِّجَادِ رفيعُ العِمَادِ
كثيرُ الرَّمَادِ إذا ما شَتَا

تريد أنه طويل القامة سيدٌ كريم

والثاني: كناية يكون المكنيُّ عنه فيها نسبةً، نحو: المجد بين ثوبيه، والكرم تحت ردائه، تريد نسبة المجد والكرم إليه.

---

(١) في (أ): بنى أمير المدينة.

والثالث: كناية يكون المكنيُّ عنه فيها غير صفة، ولا نسبة، كقوله:

الضاربينَ بكلِّ أبيضَ مِخْذَمٍ
والطاعنينَ مجامِعَ الأضْغانِ

فإنه كنى بمجامع الأضغان عن القلوب.

والكناية إن كثرت فيها الوسائط سُمِّيَتْ تلويحاً، نحو: هو كثير الرماد، أي: كريم، فإن كثرة الرماد تستلزم كثرة الإحراق، وكثرة الإحراق تستلزم كثرة الطبخ والخبز، وكثرتهما تستلزم كثرة الآكلين، وهي تستلزم كثرة الضيفان، وكثرة الضيفان تستلزم الكرم.

وإن قَلَّتْ وخَفِيَتْ سُمِّيَتْ رمزاً، نحو: هو سمين رِخْوٌ، أي: غبي بليد، وإن قَلَّتْ فيها الوسائط، أو لم تكن، ووضحت سميت إيماءً، وإشارةً، نحو:

أَوَ ما رَأَيْتَ المجدَ ألقى رَحْلَهُ
في آلِ طَلْحَةَ ثم لم يَتَحَوَّلِ

كناية عن كونهم أمجاداً.

وهناك نوع من الكناية يعتمد في فهمه على السياق، يسمَّى تعريضاً، وهو: إمالة الكلام إلى عُرْضٍ، أي: ناحيةٍ كقولك لشخص يضر الناس: خيرُ الناس من ينفعهم.

علم البديع

علم البديع:

البديع: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال، وهذه الوجوه ما يرجع منها إلى تحسين المعنى يسمى بالمحسنات المعنوية، وما يرجع منها إلى تحسين اللفظ يسمى بالمحسنات اللفظية.

محسنات معنوية:

١ - **التورية**: أن يذكر لفظ له معنيان قريب يتبادر فهمه من الكلام، وبعيد هو المراد بالإفادة؛ لقرينة خفية، نحو: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعَام: ٦٠]، أراد بقوله: جرحتم معناه البعيد، وهو: ارتكاب الذنوب.

وكقوله:

يا سَيِّداً حازَ لُطْفاً
لَهُ البَرَايَا عَبِيدُ
أنتَ الحسينُ ولكنْ
جَفَاكَ فينا يَزِيدُ

معنى (يزيد) القريبُ: أنه عَلَم، ومعناه البعيد المقصود: أنه فعل مضارع من زاد.

٢ ـ **الإبهام**: إيراد الكلام محتملاً لوجهين متضادين، نحو:

بـــارَكَ الـــلـــهُ لـــلـــحـــســـنْ
ولِـــبُـــورَانَ فـــي الْـــخَـــتَـــنْ
يـــا إمـــامَ الـــهـــدى ظَـــفِـــرْ
تَ ولـــكـــنْ بِـــبِـــنْـــتِ مَـــنْ؟

فإن قوله: (ببنت من) يحتمل أن يكون مدحاً بالعظمة[1]، وأن يكون ذماً بالدناءة[2].

٣ ـ **التوجيه**: إفادة معنى بألفاظ: موضوعة له، ولكنها أسماء لناس، أو غيرهم، كقول بعضهم يصف نهراً:

إذا فَـاخَـرَتْـهُ الـرِّيـحُ وَلَّـتْ عَـلِـيـلَـةً
بِـأَذْيَـالِ كُـثْـبَـانِ الـثَّـرَى تَـتَـعَـثَّـرُ[3]
بِه الفضلُ يبدو والربيعُ وكمْ غَدَا
به الرَّوْضُ يحيى وهْوَ لا شكَّ جعفرُ

فالفضل والربيع ويحيى وجعفر أسماء ناس، وكقوله:

ومـــا حُـــسْـــنُ بـــيـــتٍ لـــه زُخْـــرُفٌ
تـــراه إذا زُلْـــزِلَـــتْ لـــم يَـــكُـــنْ

---

(١) في: (أ) مدحاً لعظمة. (٢) في: (أ) ذماً لدناءة.
(٣) في: (أ) تتعسر.

فإن (زخرفاً)، و(إذا زلزلت)، و(لم يكن)، أسماء سور من القرآن.

٤ ـ **الطباق**: هو الجمع بين معنيين متقابلين، نحو: قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦-٧].

٥ ـ من الطباق **المقابلة**: وهو أن يؤتى بمعنيين، أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، نحو: قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

٦ ـ ومنه **التدبيج**: وهو التقابل بين ألفاظ الألوان، كقوله:

تَرَدَّى ثيابَ الموتِ حُمْراً فما أتى
لها الليلُ إلّا وهْيَ من سُنْدُسٍ خُضْرُ

٧ ـ **الإدماج**: أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر، نحو قول أبي الطيب:

أُقَلِّبُ فيه أجْفَاني كَأَنِّي
أَعُدُّ بها على الدَّهْرِ الذُّنُوبَا

فإنه ضمن وصف الليل بالطولِ الشكايةَ من الدهر.

٨ ـ ومن الإدماج **ما يسمى بالاستتباع**، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر، كقول الخوارزمي:

سَمْحُ البديهةِ ليس يُمْسِكُ لفظَهُ
فكأنما ألفاظُه مِنْ مَالِهِ

[مدحه بطلاقة اللسان على وجه استتبع مدحه بالكرم][1].

٩ ـ **مراعاة النظير**: هي جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد، كقوله:

إذا صَدَقَ الْجَدُّ افترَى العَمُّ للفتى
مكارِمَ لا تخفى وإنْ كَذَبَ الخَالُ

فقد جمع بين الجد، والعم، والخال، والمراد بالأول الحظ، وبالثاني عامة الناس، وبالثالث الظن.

١٠ـ **الاستخدام**: هو ذكر اللفظ بمعنى، وإعادة ضمير عليه بمعنى آخر، أو إعادة ضميرين تريد بثانيهما غيرَ ما أردته بأولهما، فالأول نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]، أراد بالشهر الهلالَ، وبضميره الزمانَ المعلومَ، والثاني كقوله:

فَسَقَى الغَضَا والسَّاكِنِيهِ[2] وإنْ هُمُ
شَبُّوهُ بينَ جَوَانِحِي وضُلُوعِي

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).
(٢) في (أ): فسقى الغضاء الساكنيه.

الغضا: شجر بالبادية، وضمير ساكنيه، يعود إليه بمعنى مكانه، وضمير شَبُّوهُ يعود إليه بمعنى ناره.

١١ـ **الاستطراد**: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة، ثم يرجع إلى تتميم الأول، كقول السَّمَوْأَلِ:

وإنَّا أُنَاسٌ لا نَرَى القتلَ سُبَّةً
إذا مَا رَأَتْهُ عامرٌ وسَلُولُ
يُقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالنا لَنَا
وتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فتطُولُ
ومَا ماتَ مِنَّا سيِّدٌ حَتْفَ أنفِهِ
ولا طُلَّ منا حيثُ كانَ قتيلُ

فسياق القصيدة للفخر، واستطرد منه إلى هجاء عامر وسلول، ثم عاد إليه.

١٢ـ **الافتنان**: هو الجمع بين فنين مختلفين، كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء، والتعزية، والتهنئة، كقول عبد الله بن همام السلولي حين دخل على يزيد وقد مات أبوه معاوية وخَلَفَهُ هو في الملك: آجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على

الرعية، فقد رُزِئت عظيماً، وأُعطِيت جسيماً، فاشكر الله على ما أُعطِيت، واصبر على ما رُزِئت، فقد فقدت الخليفة، وأُعطِيت الخلافة، ففارقت خليلاً، ووُهِبت جليلاً.

اصبرْ يزيدُ فقدْ فارقتَ ذا ثقةٍ
واشكرْ حِبَاءَ الذي بالْمُلكِ أصفاكَ
لا رُزْءَ أصبحَ في الأقوامِ نعلمُه
كَمَا رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كعُقْبَاكَ

١٣ـ الجمع: هو أن يجمع بين متعدد في حكم واحد، كقوله:

إنَّ الشبابَ والفراغَ والْجِدَهْ
مفسدةٌ للمرءِ أَيُّ مفسدهْ

١٤ـ التفريق: هو أن يفرق بين شيئين من نوع واحد، كقوله:

ما نَوالُ الغمامِ وقتَ ربيعٍ
كنَوَالِ الأميرِ يومَ سخاءِ
فنوالُ الأميرِ بَدْرةُ عينٍ
ونوالُ الغمامِ قَطرةُ ماءِ

١٥- التقسيم هو:

إما استيفاء أقسام الشيء، نحو قوله:

وأَعلَمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قبلَه
ولكنني عَنْ عِلْمِ ما في غَدٍ عَمِي

وإما ذكرُ متعدد وإرجاع ما لكلٍّ إليه على التعيين، كقوله:

ولا يُقيمُ على ضَيْمٍ يُرَادُ به
إلّا الأذَلّانِ عَيْرُ الْحَيِّ والْوَتِدُ
هذا على الْخَسْفِ مربوطٌ بِرُمَّتِهِ
وذا يشجُّ فلا يَرْثِي لهُ أَحَدُ

وإما ذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل منها ما يليق به، كقوله:

سأطلبُ حقِّي بالقَنَا ومشايخٍ
كأنهمُ مِنْ طُول ما التَثَمُوا مُرْدُ
ثقالٌ إذا لاقَوْا خِفَافٌ إذا دُعُوا
كثيرٌ إذا شَدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

١٦- الطي والنشر: هو ذكر متعدد على التفصيل، أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين

اعتماداً على فهم السامع، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]، فالسكون راجع إلى الليل، والابتغاء راجع إلى النهار.

وكقول الشاعر:

ثلاثةٌ تُشرقُ الدنيا ببهجَتِهَا

شمسُ الضُّحَى وأبو إسحَقَ والقَمَرُ

١٧ـ **إرسالُ المثل**(١)، **والكلامُ الجامعُ**: هو أن يؤتى بكلام صالح لأن يتمثل به في مواطن كثيرة، والفرقُ بينهما أنَّ الأولَ يكون بعضَ بيتٍ، كقوله:

. . . .

ليس التَكَحُّلُ في العينينِ كالكَحَلِ

والثاني يكونُ بيتاً كاملاً كقوله:

إذا جاءَ مُوسى وألقَى العَصَا

فقدْ بطَلَ السِّحرُ والساحرُ

١٨ـ **المبالغة**: هي ادِّعاءُ بلوغِ وصفٍ في الشدة والضعف حداً يبعُد أو يستحيل.

(١) في (ب) إرسال المثال.

وتنقسم ثلاثة أقسام:

تبليغٌ إن كان ذلك ممكناً عقلاً وعادةً، كقوله في وصف فرس:

إذا ما سابقَتْهَا الريحُ فرَّتْ
وألقَتْ في يدِ الريحِ التُّرَابَا

وإغراقٌ إن كان ممكناً عقلاً لا عادةً، كقوله:

ونُكْرِمُ جارَنا ما دامَ فينا
ونُتْبِعُهُ الكرامةَ حيثُ مالا

وغُلُوٌّ إن استحال عقلاً وعادةً، كقوله:

تَكادُ قِسِيُّهُ منْ غيرِ رَامٍ
تُمكِّنُ في قلوبِهِمُ النِّبالا

١٩ـ **المغايرة**: هي مدحُ الشيءِ بعد ذمه، أو عكسُه، كقوله في مدح الدينار:

أَكرِمْ به أَصْفَرَ راقَتْ صُفْرَتُهْ

. . . .

بعدَ ذَمِّهِ في قوله:

تَبّاً لـه مِنْ خادعٍ مُمَاذِقٍ[1]

. . . .

(١) في: (ب) ممازق.

٢٠ـ **تأكيدُ المدحِ بما يشبهُ الذمَّ ضربان:**

أحدهما: أن يستثنى مِنْ صفةِ ذَمٍّ منفيةٍ صفةُ مدح على تقدير دخولها فيها، كقوله:

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أَنَّ سيوفَهُمْ
بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكتائِبِ

وثانيهما: أن يُثبَتَ لشيء صفةُ مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفةُ مدح أخرى، كقوله:

فتىً كَمُلَتْ أوصافُهُ غيرَ أنَّهُ
جَوَادٌ فَما يُبْقِي عَلَى المالِ باقِيا

٢١ـ **تأكيد الذمِّ بما يشبه المدحَ ضربان ـ أيضا ـ:**

الأول: أن يُستثنى من صفة مدحٍ منفيةٍ صفةُ ذمٍّ على تقدير دخولها فيها، نحو: فلانٌ لا خيرَ فيه إلا أنه يتصدق بما يسرق.

والثاني: أن يُثبَتَ لشيءٍ صفةُ ذمٍّ، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، كقوله:

هُوَ الكَلْبُ إلَّا أنَّ فيهِ مَلالَةً
وَسُوءَ مُرَاعَاةٍ ومَا ذاكَ في الكَلْبِ

٢٢- **التجريد**: هو أن يُنتزَعَ من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ آخرُ مثلُه فيها مبالغةً لكمالها فيه، ويكون بِمِنْ، نحو: لي من فلان صديق حميم، أو في كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [فُصّلَت: ٢٨]، أو الباء، نحو: لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر، أو بمخاطبة الإنسان نفسَهُ، كقوله:

لا خيلَ عِنْدَكَ تُهْدِيها ولا مَالُ
فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لم تُسْعِدِ الحَالُ

أو بغير ذلك، كقوله:

فَلَئِنْ بَقِيتَ لأَرْحَلَنَّ لِغَزْوَةٍ
تَحْوِي الغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ

٢٣- **حسن التعليل**: هو أن يُدَّعَى لوصف علةٌ غير حقيقية فيها غرابة، كقوله:

لَوْ لم تَكُنْ نيةُ الجوْزَاءِ خِدْمَتَهُ
لما رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ

٢٤- **ائتلاف اللفظ مع المعنى**: هو أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني، فتختار الألفاظ الجزلة والعبارات الشديدة للفخر والحماسة، والكلمات الرقيقة، والعبارات اللينة للغَزَل ونحوه، كقوله:

إذَا ما غَـضِـبْـنَـا غَـضْـبَـةً مُـضَـرِيَّـةً
هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمَا
إذَا مَـا أَعَـرْنَـا سَـيِّـداً مِـنْ قَـبِـيـلَـةٍ
ذُرَى مِـنْـبَـرٍ صَـلَّـى عَـلَـيْـنَـا وَسَـلَّـمَـا

وقوله:

لَـمْ يَـطُـلْ لَـيْـلِـي وَلَـكِـنْ لَـمْ أَنَـمْ
وَنَـفَـى عَـنِّـي الْـكَـرَى طَـيْـفٌ أَلَـمْ

محسنات لفظية:

١ ـ **تشابهُ الأطراف**: هو جعلُ آخرِ جملةٍ صدرَ تاليها، أو آخر بيت صدر ما يليه، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النور: ٣٥]، وكقول الشاعر:

إذا نَـزَل الـحَـجَّـاجُ أرضـاً مـريـضـةً
تَـتَـبَّـعَ أقـصـى دائِـهـا فـشـفـاهـا
شفاها مِنَ الداءِ العُضَالِ الذي بها
غـلام إذا هَـز ٱلـقـنـاةَ سـقَـاهـا

٢ ـ **الجناس**: هو تشابه اللفظين في النطق لا في المعنى، ويكون تاماً وغير تام.

فالتام ما اتفقت حروفه في الهيئة والنوع والعدد والترتيب، وهو متماثل إن كان بين لفظين من نوع واحد، نحو:

لم نَلْقَ غيرَكَ إنساناً يلاذُ به
فلا بَرِحتَ لعينِ الدهرِ إنسانا

ومستوفى إن كان من نوعين، نحو:

فَدَارِهِمْ ما دُمْتَ في دَارِهِمْ
وأرْضِهِمْ ما دُمتَ في أَرْضِهِمْ

ومتشابه إن كان بين لفظين أحدهما مركب والآخر مفرد واتفقا في الخط، نحو:

إذا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذا هِبَهْ
فَدَعْهُ فدولتهُ ذَاهِبَهْ

ومفروق إن لم يتفقا، نحو:

كُلُّكُمْ قدْ أخذَ الْجامَ ولا جامَ لَنَا
ما الذي ضَرَّ مُدِيرَ الجامِ لوْ جَامَلَنَا

وغير التام ما اختلف في واحد من الأربعة المتقدمة، وهو: محرف إن اختلف لفظاه في هيئة الحروف فقط، نحو قوله: جُبَةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ.

ومطرف إن اختلفا في عدد الحروف فقط، وكانت الزيادة أولاً، نحو:

[إِنْ كـانَ فِـرَاقُـنَـا مَـعَ الـصُّـبـحْ بَـدَا
لَا أَسْـفَـرَ بـعـدَ ذاكَ صُـبْـحُ أبـدَا][1]

ومذيل إن كانت الزيادة آخراً، نحو:

يـمـدُّونَ مِـنْ أَيْـدٍ عَـوَاصٍ عَـوَاصِـمٍ
تَـصُـولُ بـأسـيـافٍ قَـوَاضٍ قَـوَاضِـبِ

ومضارع إن اختلفا في حرفين غير متباعدي المخرج، نحو: ينهون وينأون، ولاحق إن تباعدا، نحو: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٧-٨]، وجناس قلب إن اختلفا في ترتيب الحروف [فقط][2]، كنيل ولين، وساق وقاس.

٣ ـ **التصدير** ـ ويسمى رد العجز على الصدر ـ هو: في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما بأن جمعها اشتقاق أو شبهه في أول الفقرة، والثاني في آخرها، نحو: قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى

(١) هذا البيت ساقط من (أ).

(٢) ساقط من (ب).

﴿ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقولك: سائلُ اللئيم يرجع ودمعه سائلٌ، الأول من السؤال، والثاني من السيلان، ونحو: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ [نوح: ١٠]، ونحو: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٦٨].

وفي النظم: أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو بعده، نحو: قوله:

سريعٌ إلى ابنِ العَمِّ يلطِمُ وَجْهَهُ

وليسَ إلى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

وقوله:

تمتَّعْ مِنْ شميمِ عَرَارِ نَجْدٍ

فَمَا بَعْدَ العشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

٤ - **السجع**: هو توافق الفاصلتين نثراً في الحرف الأخير، وهو ثلاثة أنواع:

مطرفٌ إن اختلفت الفاصلتان في الوزن، نحو: الإنسان بآدابه، لا بزيه وثيابه.

ومتوازٍ إن اتفقتا فيه، نحو: المرء بعلمه وأدبه لا بحسبه ونسبه.

ومرصع إن اتفقت ألفاظ الفقرتين، أو أكثرها في الوزن والتقفية، نحو: «يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه».

٥ - **ما لا يستحيل بالانعكاس ويسمى القلب**، هو كون اللفظ يقرأ طرداً وعكساً، نحو: كن كما أمكنك، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدَّثر: ٣].

٦ - **العكس**: هو أن يقدم جزء في الكلام على آخر ثم يعكس، نحو قولك: قول الإمام إمام القول، حر الكلام كلام الحر.

٧ - **التشريع**: هو بناء البيت على قافيتين بحيث إذا أسقط بعضه كان الباقي شعراً مفيداً كقوله:

يَا أَيُّهَا الملكُ الذي عمَّ الورَى
ما في الكرامِ لهُ نَظِيرٌ ينظرُ
لوْ كانَ مثلَكَ آخِرٌ في عَصْرِنَا
مَا كانَ في الدُّنْيَا فَقِيرٌ مُعْسِرُ

فإنه يصح أن تحذف أواخر الشطور الأربعة، ويبقى:

يَا أَيُّهَا الملكُ الذي
مَا في الكِرَامِ له نَظِيرْ

لَــوْ كَــانَ مــثــلــكَ آخَــرٌ
مــا كــانَ فــي الــدُّنْــيَــا فــقــيــرْ

٨ ـ **الموارَبةُ**: هي أن يجعل المتكلمُ كلامَه بحيث يمكنه أن يغيرَ معناه بتحريفٍ أو تصحيف، أو غيرِهما؛ ليسلمَ من المؤاخذة، كقول أبي نُوَاس:

لـقـدْ ضـاعَ شِـعْـرِي عـلـى بـابِـكُـمْ
كـمَـا ضَـاعَ عِـقْـدٌ عـلـى خَـالِـصَـهْ

فلما أنكر عليه الرشيدُ ذلك قال: لم أَقُلْ إلَّا:

لـقـدْ ضـاءَ شِـعـرِي عـلـى بـابِـكُـم
كـمَـا ضَـاءَ عِـقْـدٌ عـلـى خَـالِـصَـهْ

٩ ـ **ائتلافُ اللفظِ مع اللفظ**: هو كونُ ألفاظِ العبارةِ من وادٍ واحدٍ في الغرابة، والتأهلِ، كقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: ٨٥]، لما أتى بالتاء التي هي أغرب حروف القسم أتى بتفتأُ التي هِيَ أغربُ أفعالِ الاستمرارِ.

خاتمة

سرقةُ الكلام أنواعٌ:

منها: أن يأخذَ الناثرُ أو الشاعرُ معنى لغيره بدون تغييرٍ لنظمه كما أخذ عبدُ الله بنُ الزَّبِير[1] بيتي مُعَنٍ[2]، وادَّعاهما لنفسه، وهما:

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدته
على طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كانَ يعقِلُ
ويركَبُ حدَّ السيفِ مِنْ أنْ تَضِيمَهُ
إذا لم يكنْ عنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

ومثل هذا يُسمَّى نسخاً وانتحالاً، ومن قبيلِهِ: أن تُبدَلَ الألفاظُ بما يرادفها [كأنْ يُقَالَ][3] في قول الحطيئة:

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيَتِهَا
واقعُدْ فإنكَ أنتَ الطاعِمُ الكَاسِي

(١) الزبير بفتح فكسر في هذا، ويوجد اسم آخر بضم ففتح. (المؤلفون).
(٢) بضم ففتح، ومعن بن زائدة بفتح فسكون. (المؤلفون).
(٣) في: (ب) كما قيل.

ذَرِ المآثِرَ لا تذهَبْ لمطلبِهَا

واجْلِسْ فإنكَ أنتَ الآكلُ اللابِسْ

وقريبٌ منه: أن تُبْدلَ الألفاظ بما يضادُّها في المعنى مع رعاية النظم والترتيب، كما [لو] (١) قيل في قول حسان:

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم

شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ

سُودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسابهم

فُطْسُ الأنوفِ مِنَ الطِّرازِ الآخِرِ

ومنها: أن يأخذَ المعنى ويغيرَ اللفظَ، ويكون الكلام الثاني دون الأول، أو مساوياً له، كما قال أبو الطيب في قول أبي تمام:

هيهاتَ لا يأتي الزمانُ بمثلِهِ

إنَّ الزمانَ بمثلهِ لَبَخِيلُ

أعْدَى الزَّمَانَ سخاؤُهُ فَسَخَا بِهِ

ولقَدْ يكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلا

فالمصراع الثاني مأخوذٌ من المصراعِ الثاني لأبي تمام، والأولُ أجودُ سَبْكاً، ومثلُ هذا يُسمَّى إغارةً، ومسخاً.

(١) ساقط من (ب).

ومنها: أن يأخذ المعنى وحدَهُ، ويكون الثاني دون الأول أو مساوياً له، كما قال أبو تمام في قول من رثى ابنه:

والصبرُ يُحْمَدُ في المواطِنِ كُلِّها
إلَّا عليكَ فإنهُ لا يُحْمَدُ

وقدْ كانَ يُدْعَى لابسُ الصبرِ حازماً
فأصبحَ يدعَى حازماً حينَ يَجْزَعُ

وهذا يُسمَّى إلماماً وسلخاً.

٢ ـ **الاقتباسُ**: هو أن يضمَّنَ الكلامُ شيئاً منَ القرآنِ أو الحديثِ لا على أنه منه، كقوله:

لا تكنْ ظالماً ولا تَرضَ بالظلْـ
ـمِ وأنكرْ بِكُلِّ ما يُستطَاعْ

يومَ يأتي الحسابُ ما لِظَلُومٍ
مِنْ حميمٍ ولا شفيعٍ يُطَاعُ (١)

وقوله:

لا تُعادِ الناسَ في أوطانِهِمْ
قَلَّمَا يُرْعَى غَرِيبُ الوَطَنِ

(١) في (أ) كتب البيت هكذا.
يوم يأتي الحساب بالظلوم ما من حميم ولا شفيع يطاع

وإذا مَا شِئْتَ عَيْشاً بينهُمْ

خَالِقِ الناسَ بِخُلْقٍ حَسَنِ

ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس؛ للوزن أو غيره، نحو:

قَدْ كانَ ما خِفْتُ أن يكونا

إنَّا إلى الله راجِعُونا

وفي القرآن: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٦].

٣ ـ التضمين ـ ويُسمَّى الإيداعَ ـ هو أن يُضمَّنَ الشعرُ شيئاً من شعرٍ آخرَ مع التنبيه عليه إن لم يشتهر، كقوله:

إذا ضاقَ صَدْري وخفتُ العِدَا

تمثلتُ بيتاً بحالي يَلِيقْ

فباللهِ أَبْلُغُ مَا أَرْتَجِي

وباللهِ أَدْفَعُ ما لا أُطِيقُ

ولا بأسَ بالتغييرِ اليسيرِ، كقوله:

أقولُ لمعشَرٍ غَلِطُوا وغَضُّوا

مِنَ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وأَنْكَرُوهُ

هوَ ابنُ جَلا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا

مَتَى يَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ

٤ ـ **العقد والحل**: الأول: نظم المنثور، والثاني: نثر المنظوم.

فالأول نحو:

والظلمُ مِنْ شِيَمِ النفوسِ فإنْ تجدْ
ذا عِفَّةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

عقد فيه قول حكيم: الظلم من طباع النفس، وإنما يصدها عنه إحدى علتين دينية، وهي: خوف المعاد، ودنيوية، وهي: خوف العقاب الدنيوي.

والثاني نحو: قوله: (العيادة سنة مأجورة، ومكرمة مأثورة، ومع هذا فنحن المرضى، ونحن العُوَّاد، وكل وِدَادٍ لا يدوم، فليس بِوِداد).

وحلَّ فيه قول القائل:

إذا مَرِضْنَا أتيناكُمْ نعودكُمُ
وتُذنبون فنأتيكُمْ ونعتذِرُ

٥ ـ **التلميح**: هو أن يشير المتكلم في كلامه لآية أو حديث، أو شعر مشهور، أو مثل سائر، أو قصة، كقوله:

لَعَمْروٌ معَ الرمضاءِ والنارُ تَلْتَظِي
أَرَقُّ وَأَحْفَى مِنكَ في ساعةِ الكَرْبِ

أشار إلى البيت المشهور، وهو:

المستجيرُ بعمروٍ عندَ كُرْبَتِهِ
كالمستجيرِ منَ الرمضاءِ بالنارِ

٦ ـ **حسن الابتداء**: هو أن يجعل المتكلم مبدأَ كلامه عذبَ اللفظ حسن السبك صحيح المعنى، فإذا اشتمل على إشارة لطيفة إلى المقصود سمي براعةَ الاستهلال، كقوله في تهنئة بزوال مرض:

المجدُ عُوفِيَ إذْ عُوفِيتَ والكَرَمُ
وزالَ عنكَ إلى أَعْدَائِكَ السَّقَمُ

وكقول الآخر في التهنئة ببناء قصر:

قصرٌ عليهِ تحيةٌ وسلامُ
خَلَعَتْ عليهِ جَمَالَها الأيامُ

٧ ـ **حسن التخلص**: هو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة بينهما، كقوله:

دَعَتِ النَّوى بفراقهم فَتَشَتَّتُوا
وقَضَى الزمانُ بِبَيْنِهِم فتبدَّدُوا
دَهْرٌ ذميمُ الحالتينِ فما به
شيءٌ سوى جُودِ ابنِ أَرْتَقَ يُحْمَدُ

٨ ـ **براعة الطلب**: هو أن يشير الطالب إلى ما في نفسه دون أن يصرح في الطلب. كما في قوله:

وفي النفسِ حاجاتٌ وفيكَ فَطانةٌ
سكوتي كلامٌ عندَها وخِطابُ

٩ ـ **حسن الانتهاء**: هو أن يجعل آخر الكلام عذب اللفظ حسن السبك صحيح المعنى، فإن اشتمل على ما يشعر بالانتهاء سمي براعةَ المقطع، كقوله:

بَقِيتَ بَقَاءَ الدهرِ يا كَهْفَ أهلِهِ
وهذا دعاءٌ للبريةِ شاملُ

تنبيه

ينبغي للمعلم أن يناقش تلامذته في مسائل كل مبحث شرحه لهم من هذا الكتاب ليتمكنوا من فهمه جيداً فإذا رأى منهم ذلك سألهم مسائل أخرى يمكنهم إدراكها مما فهموه

(أ) ـ كأن يسألهم بعد شرح الفصاحة والبلاغة وفهمهما عن أسباب خروج العبارات الآتية عنهما أو عن إحداهما :

١ ـ رب جَفْنةٍ مُثْعَنْجِرَة، وطعنة مسحنفرة تبقى غداً بأنقرة، أي: جفنة ملأى، وطعنة متسعة تبقى ببلد أنقرة.

٢ ـ **الحمدُ لله العليِّ الأَجْلَلِ**[1]

. . . .

٣ ـ أكلتُ العرينَ وشربتُ الصُّمَادِحَ، تريد اللحم والماء الخالص.

٤ ـ **وازْوَرَّ مَنْ كانَ لَهُ زائراً**

وعافَ عَافي العُرْفِ[2] **عِرْفَانَهْ**

(١) في (أ): الأجل.

(٢) في (أ) وعاف في العرف.

٥ ـ ألا ليتَ شعري هلْ يَلُومَنَّ قومُهُ
زُهَيراً على ما[١] جَرَّ منْ كُلِّ جانبِ

٦ ـ منْ يهتدي في الفعلِ ما لا يَهتدي
في القولِ حتىَّ يفعلَ الشعراءُ

أي: يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

٧ ـ قربَ مِناًّ فرأيناهُ أَسداً ـ تريدُ أبخرَ[٢] ـ.

٨ ـ يجب عليك أن تفعل كذا، تقوله بشدة مخاطباً لمن إذا فعل عد فعله كرماً وفضلا.

(ب) ـ وكأنْ يسألهم بعد باب الخبر والإنشاء أن يجيبوا عما يأتي:

١ ـ أمن الخبر أم الإنشاء قولك الكل أعظم من الجزء، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ [القَصَص: ٧٦]؟.

٢ ـ ما وجه الإتيان بالخبر جملةً في قولك: الحق ظهر، والغضب آخره ندم.

---

(١) في (أ): من.

(٢) فإن الوصف الخاص الذي اشتهر به الأسد هو الشجاعة، لا البخر، وإن كان من أوصافه. (المؤلفون).

٣ ـ ما الذي يستفيده السامع من قولك: أنا معترف بفضلك، أنت تقوم في السحر، رب إني لا أستطيع اصطباراً؟.

٤ ـ من أي الأضرب قوله تعالى ـ حكاية عن رسل عيسى ـ: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]، ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]؟.

٥ ـ [هل للمهتدي أن يقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفَاتِحَة: ٦]][1]؟.

٦ ـ من أيِّ: أنواعِ الإنشاء هذه الأمثلة، وما معانيها المستفادة من القرائن:

أولئكَ آبائي فَجِئني بمثلِهِمْ
إذا جمعتْنَا يا جريرُ المجامعُ

اعمَلْ ما بدا لك، لا ترجعْ عن غيِّك، لا أبالي أقعد أم قام، ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سَبَإ: ١٧]، ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشُّعَرَاء: ١٨].

ليتَ هِنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ
وشَفَتْ أنفسَنَا مما تَجِدْ

(١) في (ب) ورد السؤال هكذا: (هل يلزم أن يكون ضالاً من يقول: اهدنا الصراط المستقيم).

لو يأتينا فيحدثنا.

أسُكَّانَ العقيقِ كفى فراقاً

(جـ) - وكأن يسألهم بعد الذكر والحذف:

عن دواعي الذكر في هذه الأمثلة:

﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، الرئيس كلمني في أمرك، والرئيس أمرني بمقابلتك - تخاطب غبياً -، الأمير نشر المعارف وأمن المخاوف، جواباً لمن سأل: ما فعل الأمير؟.

حضر السارق جواباً لقائل: هل حضر السارق؟، الجدار مشرف على السقوط، تقوله بعد سبق ذكره تنبيهاً لصاحبه.

فعباسٌ يَصُدُّ الخطبَ عنَّا

وعباسٌ يُجِيرُ مَنِ استجارا

تقوله في مقام المدح.

وعن دواعي الحذف في هذه الأمثلة:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧]، ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ٢] ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾

[يُوسُف: ١٨]، منضجة الزروعِ ومصلحة الهواءِ، محتالٌ مرواغٌ بعد ذكر إنسان.

أَمْ كيفَ ينطِقُ بالقَبيحِ مُجَاهِراً
والهرُّ يُحدثُ ما يشاءُ فيَدْفِنُ

(د) وكأن يسألهم عن دواعي التقديم والتأخير في هذه الأمثلة:

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]

ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركُهُ

السفاح في دارك، إذا أقبل عليك الزمان نقترح عليك ما نشاء، الإنسان جسم نام حساس ناطق، اللهَ أسألُ أن يصلح الأمر، الدهر ملأ فؤادي شيباً [1]، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافِرون: ٦].

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدُّنيا بِبَهْجَتِهَا
شَمسُ الضُّحَى وأبو إسحاقَ والقَمَرُ

وَمَا أنا أسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ
وَما أنا أَضْرَمْتُ في القلبِ نارًا

(١) في (أ): الدهر يودي شيبا، وفي (ب) الدهر قودي شيباً وتصويبه من نسخة مكتبة الآداب.

(هـ) - وكأن يسألهم عن أغراض التعريف، والتنكير في هذه الأمثلة:

إذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ مَلَكْتَهُ
وإنْ أنتَ أكرَمْتَ اللئيمَ تمرَّدَا

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]، ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المَسَد: ١]، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

عباسُ عباسٌ إذا احتدَمَ الوَغَى
والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ

قرأنا شعر أبي الطيب، وحبيب، ولم نقرأ شعر الوليد، ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

هذا أبُو الصَّقرِ فرداً في محاسِنِهِ
منْ نَسْلِ شيبانَ بينَ الضَّالِ والسَّمُرِ

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢]، الذي خاط ملابس الأمير خاط هذا الثوب، أخذ ما أعطيته وسار، الرجل خير من المرأة، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [التوبة: ٩٤].

اليومَ يستقبلُ الآمالَ رَاجِيهَا.

لبث القوم ساعة وقضوا الساعة في الجدال، ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النُّور: ٥٤]، ادخل السوق، واشتر اللحم، زيد الشجاع، علماء الدين أجمعوا على كذا(١)، ركب وزراء السلطان، هذا قريب اللص، أخو الوزير أرسل لي.

وإن شـفـائـي عـبـرة مـهـراقـة

. . . . .

يابواب افتح (٢) الباب، ويا حارس لا تبرح، ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [القَصَص: ٢٠]، ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٧]، إن له لإبلاً، وإن له لغنماً، ما قدم من أحد.

ولـلـهِ عِـنـدي جـانـبٌ لا أُضِـيـعُـهُ

ولِـلَّـهْـوِ عـنـدي والـخـلاعَـةِ جـانـبُ

فـيـومـاً بِـخَـيْـلٍ تـطـرُدُ الـرُّومَ عـنـهُـمُ

ويـومـاً بـجـودٍ يـطـرُدُ الـفَـقْـرَ والـجَـدْبَـا

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فَاطِر: ٤] ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشُّعَرَاء: ٤١]،

(١) في (أ): (على كذب) وهو خطأ فاحش.

(٢) في (أ): افتتح، وفي (ب): فتح.

(و) وكأنْ يسألهم بعد التشبيه، عن التشبيهات الآتية:

وقدْ لاحَ في الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لمَن رَأى
كَعُنْقُودِ مُلَّاحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

كَأَنَّمَا النَّارُ في تَلَهُّبِهَا
وَالفَحْمُ مِنْ فَوْقِهَا يُغَطِّيهَا

زِنْجِيَّةٌ شَبَّكَتْ أنامِلَهَا
مِنْ فَوْقِ نَارَنْجَةٍ لِتُخْفِيهَا

وكأنَّ[1] أجرامَ النُّجُومِ لَوَامِعاً
دُرَرٌ نُثِرْنَ علَى بِسَاطٍ أَزْرَقِ

عَزَمَاتُهُ مثلُ النجومِ ثَوَاقباً
لَوْ لم يكنْ للثاقباتِ أُفُولُ

ابْذُلْ فَإِنَّ المالَ شَعْرٌ كُلَّمَا
أَوْسَعْتَهُ حَلْقاً يزيدُ نَبَاتَا

ولما بدَا لي منكَ ميلٌ مَعَ العِدَا
عليَّ ولم يحدُثْ سِوَاكَ بَديلُ

(١) في: (ب) كأنّ، بدون واو.

صَدَدْتُ كما صَدَّ الرَّمِيُّ تَطَاوَلَتْ
بـه مُـدَّةُ الأيـامِ وهْـوَ قَـتِـيـلُ
رُبَّ حَـيٍّ كَـمَـيِّـتٍ لَـيْـسَ فِـيـهِ
أَمَـلٌ يُـرْتَـجَـى لـنـفـعٍ وَضُـرِّ
وعـظامٍ تـحتَ الترابِ وفـوقَ الـ
أرضِ مـنـهـا آثـارُ حـمـدٍ وشُـكْـرِ
كأن انتضاءَ البدرِ مِن تحتِ غيمةٍ
نـجـاةٌ مـنَ الـبـأسـاءِ بـعـدَ وقـوعِ
(ز) وكأن يسألهم عن المحسنات البديعية فيما يأتي:
كـانَ مـا كـانَ وزالا
فـاطِّـرِحْ قِـيـلاً وقَـالا
أيُّـهـا الـمـعـرضُ عَـنَّـا
حـسـبُـكَ الـلـهُ تـعـالـى
ليتَ المنيةَ حالتْ دونَ نصحِكَ لي
فـيستريحَ كـلانـا مـنْ أذى التُّهَـمِ
يحيي ويميت، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].
خُـلِـقُـوا ومـا خُـلِـقُـوا لِـمَـكْـرُمَـةٍ
فـكـأنـهـمْ خُـلِـقـوا ومـا خُـلِـقـوا

عـلَـى رأسِ حُـرٍّ تـاجُ عِـزٍّ يـزيـنـهُ
وفـي رِجْـلِ عـبـدٍ قَـيْـدُ ذُلٍّ يَـشِـيـنُـهُ
نـهبتَ مِنَ الأعـمَـارِ ما لَوْ حَوَيْتَهُ
لَـهُـنِّـئَـتِ الـدنـيـا بَـأَنَّـك خَـالِـدُ
واستَوْطَنُوا السِّرَّ مني وَهْوَ منزِلُهُمْ
ولا أَفُـوهُ بِـهِ يـومـاً لِـغَـيـرِهِـمُ
مَـــنْ قـــاسَ جَـــدْوَاكَ يـــومـــاً
بـالـسُّـحْـبِ أَخْـطـأ مَـدْحَـك
الـسُّـحْـبُ تـعـطـي وَتَـبْـكِـي
وأنـــتَ تُـــعْـــطِـــي وتَـــضْـــحَـــكْ
آراؤُكُـمْ وَوُجُـوهُـكُـمْ وَسُـيُـوفُـكُـمْ
فـي الـحَـادِثَـاتِ إذَا دَجَـوْنَ نُـجُـومُ
مِـنْـهَـا مَـعَـالِـمُ لِـلْـهُـدَى وَمَـصَـابِـحٌ
تـجـلُـو الـدُّجَـى والأُخْـرَيَـاتُ رُجُـومُ
إنـــمـــا هَـــذِهِ الـــحـــيَـــاةُ مَـــتَـــاعٌ
والـسَّـفِـيـهُ الـغَـبِـيُّ مَـنْ يَـصْـطَـفِـيـهَـا
مـا مَـضَـى فـاتَ والـمـؤَمَّـلُ غَـيْـبٌ
ولَـكَ الـسَّـاعَـةُ الـتـي أَنْـتَ فـيـهـا

وسَـــابـــق أيـــانَ وجَّـــهْـــتَـــهُ
رأيـتَـــه يـــا صـــاحِ طـــوعَ الـــيـــدِ
في الـسَّبْقِ لـمـا لـم يـجِـدْ مُـشْـبِـهاً
سَـابَـقَ أَفْـكَـاري إلـى الـمـقـصـد
لا عيبَ فيهِمْ سِوَى أَنَّ النَّزِيلَ بِهِمْ
يَسْلُو عَنِ الأهلِ والأوطانِ والحشَمِ
عـاشِـرِ الـنـاسَ بـالـجـمـيـ
ـــــلِ [وخَـلِّ][1] الـمـزاحَـمَـهْ
وَتَـــيَـــقَّـــظْ وقُـــلْ لـــمـــنْ
يَـــتَـــعَـــاطَـــى الْـــمِـــزَاحَ مَـــهْ
فَـلَـمْ تَـضَـعِ الأعـادي قَـدْرَ شَـانـي
ولا قـــالـــوا فُـــلانٌ قَـــدْ رَشَـــانـــي

أيُّ شيء أطيب من ابتسام الثغور، ودوام السرور، وبكاء الغمام، ونوح الحمام.

كمالك تحت كلامك.

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [لقمان: ٢٩].

(١) ساقطة من (أ).

يـا خـاطـبَ الـدُّنـيـا الـدَّنِـيَّـةِ إنـهـا
شَــرَكُ الــرَّدَى وَقَــرَارَةُ الأَكْــدَارِ
دارٌ متى مَا أَضْحكَتْ في يومِها
أَبْـكَـتْ غـداً تـبـاًّ لـهـا مِـنْ دَارِ
مَدَحْتُ مجدَكَ والإخلاصُ مُلْتَزِمِي
فِيهِ وحُسْنُ رَجَائي فيكَ مُخْتَتَمِي

ولا يصعب على المعلم اقتفاء هذا المنهج، والله الهادي إلى طريق النجاح.

فهرس المحتويات